نساء خارج النص

حكايات في الحب

هاديا سعيد

مدونة ابو عبدو

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

نساء خارج النص

هـاديا سعيـد

• نسـاء خارج النـص •

« حكايات في الحب »

عـودي يا ابنتـــي

أتيح الفقرة «للشخصية»، أسميها ندى. فتشكرني وتبتسم لتروا سمرتها الهادئة ونظارتيها الرقيقتين وابتسامتها الطفلة..

لاتقترب من «مكبر الصوت» بل تختار زيارة لي، بفنجان قهوة وسجائر مغربية، فأفتح الباب لكم لتساندني المشاركة، وتساعدني.

هلا أصغيتم لنا قليلا ؟

- أراك كئيبة اليوم. هادئة. على عكس عادتك..

— صحيح؟ تلاحظين ذلك ؟

- ألاحظ أيضا غياب ثرثرتك. ثرثرتك المفيدة.. الحلوة !!

— ربما أنا تعبة قليلا.. فلقد عدت توا من زيارته

- كيف أنتما ؟

— «كنعدّو» مازال في بطالته ومعركته ومازلت أحبه..

- أين صار مشروع الزواج ؟

— مؤجل.

- هل مازال الأهل على موقفهم ؟

— .....

- حدث تطور جديد ؟

— .....

* * * * * *

في اللحظات التالية حام الحزن حول زيارتها لي وكانت بهدوء وصمت تطرد أحزانها.

ودّت للحظة لو أنها تنهي الزيارة وتمضي. لكن ورقة صغيرة أخرجتها من حقيبتها أعادت للجلسة نبضها.

همست لي : هذه رسالة من أمي.. اعطتها لي أول أمس عندما كنت

SCANNED BY JAMAL HATMAL

في زيارتها وتسللت هاربة. قرأتها على باب الدار.. ومازلت أقرأها ورأسي يفكر ويبكي.

«ابنتي الحبيبة. مازلت اخاطبك بكل قلبي وأهمس انك فلذة كبدي التي تربيت معي ومع أبيك وإخوتك بالحنانَ والتفاهم والقيم الاسلامية التي تشكل أساس حياتنا وقيمنا... (...) لكنك أدميت قلبي، حين ضربت بعرض الحائط بكل شيء. تركت بيتك وأهلك وإخوتك، وصارت سمعتنا مضغة في أفواه الناس. حكيت لنا عن استقلالك وحريتك و لم أستطع أن أقتنع للحظة واحدة أننا السبب في سجنك وفي عذابك.. (...) لا أستطيع يا ابنتي الغالية أن أتخيل كيف قدر قلبك على هذه القسوة وكيف صارت أية غرفة غريبة هي المكان الذي ترتاحين فيه في حين صار البيت الذي حضنك وأنت رضيعة وطفلة وشابة هو السجن وهو المكان الغريب.. (...) كيف صارت أمك لا تفهمك، وأبوك لا يقدر أفكارك ؟ واخوتك أشخاصا لا تعرفينهم ؟ ...

لقد تركت في نفسي جرحا ما زال ينزف منذ أن حملت متاعك وغادرت البيت.. (...) هل تعلمين أن تصرفك هذا حطم هذه العائلة السعيدة التي كنا نعيشها ؟ إنك وأنت الكبيرة أصبحت مثالا لاخوتك ... وفي كل لحظة يهددني أحد منهم بأنه سيحذو حذوك ويغادر البيت مثلك إذا لم نحقق له رغباته !!. (...). لم أكن أتصور يا حبيبتي، يا فلذة كبدي أنه سيأتي يوم تكبرين فيه وتنسين الأيام التي أرضعتك بها حناني وحبي.. (...)

هل تعلمين كيف أصبح أبوك مكسور الخاطر ؟ يخجل من الناس ؟ يشعر أنه ذليل ؟؟ كيف لا وابنته المسلمة تعيش بمفردها.. بلا زواج.. وتختار أن تكون حرة ومستقلة في بيئة نعيش فيها قيمنا وتعاليمنا الاسلامية الكريمة ؟ كيف يا ابنتي يطاوعك قلبك أن تكسري قلبنا وشرفنا إلى هذه الدرجة ؟؟... (...)

* * * * *

تراقبني ندى وأنا أقرأ، ولا أخجل من إعلان تأثري. تصمت قليلا ثم تشرب القهوة وتمتص لفافة تبغها الرديء وتبوح :

«كنت أظنها ستعتاد غيابي. غادرتهم منذ أكثر من سنتين. ها هي تكتب لي الآن في لحظة ضعفي وضياعي. لحظة انهيت خدمتي المدنية ووقفت على رصيف البطالة. كنت أملك ثمن استقلالي وحريتي. أما الآن ؟ الآن أفكر كيف يمكنني التراجع عما اعتقدت اني حققته. وهل هذا بمستطاعي ؟؟ أترك وضعي «المادي» جانبا. وأقول. ها أنا وحيدة في غرفتي. قد تشاركني صديقة أو زميلة. ولا أحد يملك وصايته علي. أشعر بمسؤوليتي الكاملة نحو نفسي. بحريتي. تلك الحرية التي تتيح لي أن أفكر كيفما أشاء، لم أعد أطيق سجنا ولو كان نفسيا أو عاطفيا.. ان وجودي «معهم» يضيق من أنفاسي. لا يقنعني. أحب أمي. وأبي. وإخوتي. لكني أحبهم أكثر وأنا بعيدة عنهم. منفصلة. مستقلة. أمنحهم اهتمامي ساعة أريد... ولا أكون مرغمة على التزامات وعلاقات ... صحيح اني أفهم أمي. أفهم عواطفها و «عقليتها»... لكني، لكني أشعر أن أي رضوخ لها سيجعلها تزيد من كمية الوصاية .. باسم الحب .. باسم الرعاية .. باسم الدم .. ستجد دوما الدوافع التي من خلالها تقتحم عالمي. شخصيتي .. وتكبلني» !!

* * * * *

نستمر في جلستنا و«ندى» تتململ من النص وتتزحلق فوق الورق لتتقدم نحوكم : هي «الشخصية» الشابة، قد تملك أكثر من اسم وتتوزع على أكثر من مساحة بين الطبقات، وفي كل دائرة تواجه بنوع من «التعامل» وحجم من الفهم، وهي تستمر كوضع يبرره الاقتصاد ومفاهيم التكوين الروحية والنفسية. وهي تعرف كل هذا، وتدرك انها تجلس في ضباب الازدواجية والتبرير والتأويل. تعرف ضعف الحاجة وتواجه «أهل الدار» باختيار تحاول أن يمنحها قوة ما. وقد أقول لها أن من يعش وسط هذه العائلة التي تملك — على

لأقل ــ لغة تفاهم .. لغة حب ... سيطلب منه دوما أن يكون أكثر عدالة .. تكاد تقول لي أن «القمع» يحمل الآن وجوهه واسماءه وأساليبه.

هي السلطة الازلية كما تراها، مجسدة بالبيت الأول. بمن خلق عوامل حيثيات وجودها، ويقودها التدخين والشباب لتأويل والتباس.

فهل العائلة هي السجن ؟ هل السلطة الأبوية هي البدء ؟

هل يقدر جيل أن ينمو بلا تربة التفاعل والتأثر ؟

ونطرح معا الأسئلة الأكبر : أين الدين في الرأس وفي القلب وفي لسلوك ؟ إلى أين ستمضين ؟ وماذا ستحققين في هذا الاختيار الذي يقوم فوق حزان من يحبونك ؟

ماذا حققت حركات التمرد في البلدان الأكثر «تمدنا» ؟ كيف عاش ويعيش من اختار الغرفة المعتمة بديلا لصالة العائلة ومن فضل القبو على حديقة هل البيت ؟؟.

(بطر ؟؟

والناس في البراري والبيوت المشتركة يتكدسون في الكآبة المنتظرة أملها الكاذب ؟؟)

تغادر «ندى مسار النص» وتحدد وضعها الطبقي ومفاهيمها.

«أنا من هذه الطبقة المتوسطة. أتيح لي أن أتعلم وأتخرج، أتيحت لي فرص الثقافة. عرفت اليمين واليسار وحركات التحرر ونبشت في محنطات الميثولوجيا وغرزت ملايين علامات الاستفهام، والكتب علمتني أكثر من ذلك. نفسي عملتني أيضا. توقي الذي لم تكفه الغرفة والمائدة والعلاقات البائسة بحنانها. أحببت وعلمني الحب كيف أقف في الفشل وأتحدى قمع الرجل الغريزي وسلطته اللاواعية. غادرت الحب إلى مزيد من المعرفة وتعلمت أكثر. وصار لي أصدقاء و لم يعد يكفيني الوقت الثالث المتاح لي بين الالتزامات العائلية ومراعاة الظروف والجيران والعمات و«الحباب»..

ولست وحدي ولن أكون. اديروا اعينكم جيدا ... سوف ترونا بين

لغرف وفي المقاهي وفي الندوات. وحيدات ولكن متمردات لأننا نعرف.. غاضبات لاننا نريد.. من يسألني عن الخطأ ؟ وكيف يطلب مني ان أكون «الصح» وسط الخطأ الأكبر والأشمل ؟؟

* * * * *

تنتهي الزيارة، وأنا الراوية التي لا تملك من النص غير «شخصية» هاربة. تهرب مني «ندى» وتترك لي «أمها» فأطرق بابها في اليوم التالي.

* * * * *

- هل تعرفين (ندى) أهي التي أرسلتك ؟ هل ستعود ؟

ــ أعرفها يا خالة. أحبها أيضا وهي لم ترسلني ولا أعرف إن كانت ستعود.

- ماذا تريدين إذن ؟ ماذا تريد ؟ لم يبق لها في هذا الدار أية «حوائج».

الأم ضعيفة، تتماسك بمستوى الصف الثاني المتوسط وما اكتسبته من خبرة في قراءات يوسف السباعي وأفلام حسن الامام. «تهدر» أمامي بلكنة مصرية لأفهمها وتقول ان الأفلام «خسرت» هذا الجيل وان (ندى) كانت أكثر من عاقلة وأكثر من «حنون». وان «فلان» الذي ثقفها وحرضها ويود الآن ان يتزوجها، لكنه لن يفعل ــ وتقسم أنه لن يفعل ــ مادام استطاع ان يعيش معها «هكذا» لكنها تستطرد وتصفعني بمفهوم آخر مناقض تماما فثمة الآن من لا يتزوج إلا إذا استطاعت الفتاة ان «تجر رجله» وابنته بما تملك من مواصفات يمكنها أن تفعل ذلك ببساطة .. ولكن لماذا إذن تكره الابنة حديث الزواج ؟ ولماذا تقول أن الزواج قيد وان العلاقة الحرة تحفظ لها كيانها واستقلالها ؟ فهل تكذب لان (فلان) يماطلها ؟؟

تضعني الأم في قفص. تطرق رأسي بمتناقضات تعكس ضياعها في فهم «ندى» ومحاولتها استردادها بأية طريقة. إنها تود استرجاع لحظات الحنان. وتحتاج الاستمرار في الدور الذي اختاره لها التاريخ الانساني بحقباته المختلفة. تتمسك بالقيم والواجهات .. تضغط غضبها لانها تحمل قلب أم، تقرأ لي قصيدة «قلبي على ولدي» بلغة أخرى. تحس ولا تفهم، تحدس ولا تستخلص. ترجو تأمل. تكدس ضعفها أياما وذكريات.

يا خالتي. يا خالتي. صدقيني لا أعرف إن كانت ستعود. أعلم أنك خجلة من الجارات أكثر من لهفك على غيابها وأعلم أنك قلقة على حالة والدها أكثر من قلقك على جوعها وإني لواثقة من أن الشكل العائلي يعني لديك الأمان والسلام والاستقرار الذي يشخر وهو ينام على حافة !

يا خالة، «ندى» بعيدة عنك وعليها أن تفهمك أولا لأن حبك وحده لا يعبر حواجز عقلها ..

من منكما أكثر قدرة ؟ ولماذا استطاعت جارتك ــ كما تقولين ــ أن تحمي بناتها وهي القاسية الصلبة التي يداها سوط ولسانها جمر وأوامرها زنازن ؟

ماذا تريد ابنتك وقريناتها ؟ حبا ؟ سلطة ؟ ؟ ظرفا تاريخيا من الصحح يتجاوز البيت والحومة ويمتد إلى أطراف الوطن.

تغادرني «ندى» وأغادر «أمها» ويبقى النص باحثا ومفكرا ومحاولا.

ثلاث حكايات ..وطالبـــة !

فاطمـــة ◦

* ما اسمك ؟

ـــ طالبة !

* تشرفنا

صوت يتلوى ببحته، وقامة غنّى لها كل مغني العرب، وجرأة تدهش تربيتي وسوء تفاهم بين نصي وبينها محترم ومتبادل !

اسمها طالبة ومهنتها النجاح، وعمرها في النص يقترب من الحكاية الثالثة.

أما الحكاية الأولى، فترويها زميلتها :

* حصلنا على البكالوريا معا، وعشنا معا في بيت واحد عند عائلة. وكانت «تحمق» كي تحقق نجاحها بأي ثمن. ولا أعني الثمن الذي يسود في أذهانكم. كانت تسهر وتقرأ و«توجد» بصبر ودقة .. وكانوا دائما يواجهونها بالمعادلة الصعبة : تعالى خارج «القاعة» في نزهة أو زيارة وسوف يكون ما تحلمين. كان لها حبيب، لكنه ابتعد بعد أن كثرت الدعوات، لم يعد يجد لنفسه مكانا بين عينيها، وابتسامتها وحكمتها في مراوغة الطلبات الكثيرة، وكنت معها في كل شيء، في الحمام والبيت والكلية و«الصيد» كنا نضحك بين المقاهي والغرف والكتب و«الدراري»، ولم نتفق يوما على خطة كالتي وجدت نفسها في النهاية داخلها ووجدت نفسي لا أقوى على الدخول أو التراجع، وظللت ظلا لها ...

لم تقل سأقيم الحفلات وأزيد الدعوات وأحصل على كتيبة من جيوش الدعم !!

- لكنها فعلت كل ذلك بشكل طبيعي : شربت مع زميلها قهوة ونقلت عنه «المحاضرة» ورافقت الآخر الى السينما فشاركها في إعداد البحث وتسلفت من الثالث «الكناش» وناقشت الرابع في مبادىء الحرية والاستقلال وحصلت منه على وعد بالتوسط لدى صديقه الاستاذ لينقذها من علامة خطرة تحت المعدل !!

وقد كنت معها في كل هذه الحكايات، كنت ظلا استمع ولا أشارك، أرافقها ويصيبني القليل من الفوائد، عشاء أو قهوة أو سلفة صغيرة لاترد أو هدية ..

ماذا تريدين أن أقول عنها بعد ؟ رأيي الشخصي ؟ لا أدري .. يمكن أن تكون «على حق».. «الدنيا ماشية هكذا» ولو أنها لم تفعل لحاولوا الانتقام منها في العلامات والابحاث والحضور وأشكال العلاقات كافة !

* حق الكــذب *

عندما تتحرك قطعة من «اللبان» داخل الفم والرأس، يكون الحكي على هذا النحو الدبق الذي سمعت ! زميلتها «دبقة»، يسقط رأسها بين أنياب تمضغ اللبان ويتحرك لسانها بادارة من غرائز مطلقة. تدافع عن الظل قبل الأصل، وتجير الامتيازات : زميلتها ليست أكثر من مناسبة تفرز الامتيازات، فأي نص يمنع عنها الآن حقها في الكذب ؟

تقول الحكاية الثانية : سأحكي نفسي فوق لسان «رشيد»، ويقول رشيد : سأتركها تفعل، وليكن الأمر على نحو أكثر بساطة، وجدة، فأنا لم تغوني انوثتها التي لا تقاوم، بل رجولة لدي تود الانتصار. عرفتها منذ سنتين وكنت أسبقها بعام دراسي، وكانت بالنسبة لي صيدا سهلا إذ كنت المميز والناجح والوسيم وصاحب أكبر شبكة من العلاقات بين الأساتذة وبين الطلبة، حاضر أمام نظرتها وابتسامتها وطلباتها المقلقة. لم تكن جادة ولم أكن جادا وكانت تأتيني بلعبة من المراوغة فأقبل وأساومها، تأخذ المحاضرات مني وتعطيني ساعة من الغزل «المبطن» ! أما التوسط عند استاذ الكيمياء أو الرياضيات فالمقابل دعوة شبه مفتوحة الى «الجاردان اكزوتيك» أو ... لا، تلك الدعوة كانت مقابل أمور أخرى. أمور محددة حدثت في العام الماضي حين قدرت أن «انجحها» بعد تلك الحفلة الصاخبة التي «شطحت» فيها كما ينبغي !!

هل يكفي هذا أم أزيد ؟!

* الثالثــة ثابتــة !! *

بشرفك يا أستاذ أحكي لي الحكاية الصحيحة، الحكاية الثالثة الثابتة.!!

الأستاذ وقور، لكن ثعلبا يقطن عينيه، وابتسامته تذكرني بدبق صاحبة اللبان ورأسها الذي يمضغ ولا يهضم !!

الاستاذ متعجل، مشغول، أمامه حصص وأبحاث ومناقشات بين الأقسام والممرات ..

الأستاذ يقول :

ـــ هذا أمر تافه قد تلقين من بين عشرات أو مئات الطالبات طالبة من هذا النوع. قد يضعف أمامها إنسان ما أو أكثر .. لكن الأمر يظل حالة فردية، ولن تصبح مثل هذه الحالات ظواهر أو قضايا.

أعرفها. مزعجة من بعيد، محيرة في القرب، تقدر ان تبتسم فيحاول الانسان مناجاتها بالنصائح والحكم وهي لاتطلب، إنها على العكس تعطي، لكني اكتشفت أن عطاءها ليس كرما، فالدعوات التي تقيمها لبعض الاساتذة هي دوما على حساب بعض الطلبة الأغنياء، وأحيانا في شققهم أو فيلاتهم، وعلاماتها تحصل عليها بسهرة درس طويلة تقلب فيها الصفحات حتى الفجر، أنا لا أشك في تورطها في ملابسات بين بعض الأساتذة والطلبة، لكني أيضا لا أقدر أن أنفي ذكاءها. لقد استطاعت يوما أن تدعوني لزيارتها، وذهبت، ولم تطلب أي شيء، لكني وجدت نفسي أحدثها عن أهم المواد التي ينبغي للطلبة التأكيد على دراستها لعلاقتها بمقررات السنة القادمة !!

وهكذا، سرت اشاعات بعد الامتحان اني «سرَّبت» لها الأسئلة ... لكني اقسم أني لم أفعل .. إنها ذكية .. عرفت المواد المهمة وتداركت كسلها بعد زيارتي .. هي ذكية جدا، قدرت أن توجد كل المقرر المهم في ليلة واحدة .. إذ أني زرتها قبل الامتحان .. بيوم واحد !!

سأبقــــى عــذراء ...

• زهـــرة •

قالت زهرة، وكان النهار ممطرا في الخارج والسماء سوداء كوجهها :

«في ذلك اليوم، عندما وصلنا إلى المحكمة كان يجب أن أجيب القاضي. قرصتني أمي فقلت اني حضرت مع زوجي في المرة الأولى واني أريد أن أطلقه، الحقيقة أنه لم يدخل بي، والقاضي أخبرني فيما بعد أنه بإمكاني الآن أن أتزوج من جديد وأني لن أكون بالنسبة للزوج المقبل مطلقة، فأنا ما زلت عذراء وسأبقى وهذا أفضل ..» ثم قالت زهرة وهي تحك عمشا في أجفانها، وكان المطر يشتد هطوله في الخارج :

«.. وتم الطلاق بعد تعب .. حضر أبي والرجل لم يحضر .. لكن القاضي تفهم الأمر وقال لي : «علاش ما تبغيه ؟» فقلت بعد أن قرصتني أمي : «يا سيدي ما كانتفاهموش» فقال «واخّا» ثم بقيت الورقة عند القاضي خمسة عشر يوما وأعفيت أنا من عدة الثلاثة أشهر. أنا بقيت عذراء وسأبقى وهذا أفضل ...» ثم قالت زهرة ويدها تخبيء حبوبا فوق خدها، وكانت السماء قد هدأت قليلا من البكاء».

«.. عرفتي ؟ خصك تسيري للمحكمة في مراكش وتشوفي .. أنا رأيت العيالات والدراري وكان هناك صف طويل من عرايس اليوم الأول وكنا في الصباح الباكر .. ومنهن من كانت بقميص النوم ومنهن صاحبات الشعر المنفوش والمكياج، ورجالهن يصحبنهن .. باش العريفة تقلبهن».. سبحان الله على تلك الاتهامات. يقول الراجل : «ترى بنتكم مرا» ويصحبها في صباح ليلة العرس الى هنا، وبعد الكشف وثبوت التهمة تاكل العصا».. يضربونها.

ايه .. ولكن هناك مظلومات والعريفة تقول للراجل : «والآن تريد مراتك ؟» فإذا أرادها صحبها ومضى، وإذا رفضها «أكلت العصا» ..

ثم قالت زهرة وكانت الشمس تحاول أن تستيقظ في الخارج :

«... أنا مرتاحة هكذا .. مالياش بالرجال..».

حــب 81

« مينــة »

جاءت مينة ونفضت معطفها المبلل بالمطر وقالت :

«.. قبضوا على مصطفى .. ولكن لايهم، المديرة قالت لي اليوم أني رأس الفتنة وأني لن «اكبط الباك» سنستمر في الاضراب كنت أحسب أني لم أعد أحب مصطفى لكن فوجئت هذا الفجر بأني أحبه. فرحت لأن بطاقتي ظلت معه، سيقولون له في التحقيق بعد أن يفتشوه ويجدوا بطاقتي : من هي صاحبة هذه البطاقة ؟ زوجتك ؟..»

ثم جلست مينة على طرف الكنبة وقالت وكانت على عجل : «.. ضربوا مصطفى ضربوه بشدة. قال لي صديقه أنهم نقلوه إلى المستشفى ووجهه غائب خلف الجراح والدم والورم، رغم هذا صرخ في وجوههم أنهم فاشست .. حراس سجون لا حراس جامعات.. لم استطع أن أذهب اليوم إلى المحكمة .. بعد غد سأرتدي الجلابة وأذهب لكي يحسبونني أخته أو خالته.. قه قه... صعب على الطلبة أن يدخلوا المحكمة.. ميشيل نبهتني أن احتاط.. كانت غاضبة فسألتها ماذا جرى بشأن أحمد فأخبرتني أنه مازال يتهمها تلك الاتهامات الغريبة.. هل يعقل أن تأخذ فلوس المساعدات التي تصل من الأصدقاء والمتعاطفين في الخارج ؟

ميشيل قالت لأحمد أنه يستطيع التأكد بنفسه من أن المساعدات كانت تصل مباشرة الى اهالي المعتقلين.. ميشيل نبهتني الا اتمادى في صداقتي مع أحمد.. نصحتني ألا أثق به تماما.. كان يبدو لي طيبا ولطيفا لكنها قالت أنه محتال.. يبدو أنه يريد أن يأخذ مكانها في الجمعية...»

سكتت مينة ثم اشعلت سيجارة وتطلعت من النافذة تراقب أنهار المطر وقالت : «الغريب أني أرتاح لميشيل ولأحمد.. تصوري.. عبد الاله ونجيبة اختفيا من الساحة.. لا أدري لماذا لا يظهرا إلا في السهرات.. بحثت عنهما طيلة الأمس.. هذه الانقسامات إلى متى ؟؟» تنهدت الآن.. وكان الرذاذ يخترق الشباك المفتوح ويندي شعرها..همست :

«..آه.. ذلك يوم رائع كان.. ممطر كهذا.. وفي الأسبوع الماضي ترددت أن أخبرك.. خجلت أيضا.. حسبت أنك لن تتفهمي الموقف.. اخبرتك أننا

ذهبنا إلى مراكش.. لكن الغرفة في الفندق كانت ضيقة. مصطفى كان لطيفا.. أحببته لحظتها وبقيت صامتة سألني عن أشياء كثيرة وكنت أود أن أحكي له عن عمي والبنات.. حين أحضر لنا الخادم الطعام شعرت أني لا أحب مصطفى كما أحب هذه الصينية.. التهمت كل شيء ومصصت عظام الدجاج بلذة كبرى. في الدار كانوا يرمون لي الطعام مثل الكلبة ومع هذا كنت أمصها.. كانوا يفعلون ذلك لأن أمي غابت.. ماتت وهم.. أبناء عمي.. ويحسنون إلي.. قررت هذا الأسبوع ان انتقل إلى بيت «أمي للا» بيتها ضيق لكنها قالت لي : أنا ادفئك. أحبها هي تعلم اني أحب مصطفى.. لكني لا أقدر أن أحكي لها مثلما أحكي لك.. آه.. لم أكن أتصور أنه رقيق إلى هذا الحد.. حدث كل شيء بعد الطعام بشكل أنا نفسي لم أفهمه. صار مصطفى ملاكا صامتا بعد أن كان لا يعرف الكلام إلا بالصراخ والخطب.. لم ننس الوضع... حين وضعت رأسي على صدره قال : إن ذلك حقا هو زاد النضال ...

ثم أفقنا في الصباح وذهبنا نتمشى في ساحة الفنا وفجأة وجدت نفسي وجها لوجه أمام قريب لعمي. اشحت بوجهي بسرعة، لكنه اقترب مني وقال : انت مينة ؟ فقلت وأنا أخبىء وجهي.. لالا.. وأمسكت بذراع مصطفى وعدوت وسمعته يقول : غير معقول.. هادي مينة أعرفها مزيان..

قلت لمصطفى تعال نذهب إلى الصومعة... كنت أريد أن اتحدى الزمان والمكان.. وقلت لمصطفى في الصومعة قبلني.. وقبلني.. واحببته أكثر وبقينا في مراكش ثلاثة أيام ثم مللنا وعدنا إلى الرباط ولم أقل لدار عمي أني كنت في مراكش...»

ضحكت مينة وضحك الرذاذ فوق شعرها ثم قامت على عجل وقالت انها تريد الذهاب إلى المحكمة لتتابع جلسات التحقيق مع مصطفى...

إرجعي إلى البيت

- نوال
- منال
- دلال
- آمال
- أحلام

« نـــوال »

«يا نوال فين عيونك ؟!». هل من أحد يغنيها لها ؟

هي لاتبحث عن «غزل» أو غناء، ولايهمها دفق ينبض في القلب ويوقظ ألق العين. لاتختار رفيق درب ورحلة نجاح، ومستقبلا وأولادا وبناتا وبيتا و... هي الرشيقة، الأنيقة، الجميلة، الشابة، ال...ال...

ماذا أيضا ؟

فليفتح النص باب بيتها وليدخل بلا ترحيب !

هي ابنة وسطى، في عائلة يتكدس فيها الأبناء والبنات. بعضهم أكمل تعليمه وبعضهم «يخدم» وبعضهم «ينتظر» بين الصبر والكسل..

ونوال، وصلت إلى الثانوية.. (قبلها بقليل) وخرجت للعمل بين المصانع والمتاجر والمكاتب الخاصة.

لطيفة، دمثة، مؤدبة، محبوبة.

يمكنها أن تنجح في عملها المحدود وتتقدم قليلا.

إلى أين ؟

مزيد من الأناقة. مزيد من الجمال. مزيد من «الفلوس».

أيــن ؟

في البنك ! رصيد قليل.. ينمو كالسلحفاة. يتدفأ بالأرقام.

ونوال تكبر. وتفكر بالمستقبل.. ولكن.. على طريقتها !

الحب ؟ يمكن ! الصداقة ؟ معقول ! الزواج ؟ مستحيل !

ولماذا يانوال ؟

ــ لأني تعبة، لأني منهكة، لأني أعمل منذ سنوات. لأن لي رصيدا في «البنك» وأريد أن أزيده وأتمتع به ! لأني أريد أن أرتاح، لأني أريد أن أتدلل.. بعد هذا العمر !!

ويا «نوال فين عيونك» ؟

وعمرك لم يعبر الثلاثينات، والحياة حلوة في كل فصولها، والرفقة أحلى،

وكتف الزواج سند وبلد !!

ويانوال....

ــ لكني أريد الذي يريحني، الذي يدللني. الذي وضعه «جيد». الذي معه ليعمل ويشتري لي. الذي يجلسني في البيت. الذي يعمرني بالحنان والحاجات !

ونوال تبحث عنه. خرجت في الأمس وأول أمس. بين دور السينما والشوارع وشقق الأصحاب والزيارات ...

تبحث عن «مستحيل» ! رجل كامل الأوصاف. يبدأ افتتانها بجيوبه وينتهي باخلاقه ... الملموسة !!!

« منـــال »

سيارته صغيرة، قديمة.

وهو أيضا، صغير ضئيل.. وقديم !!!

قال لها عن أفكاره الحلوة.. وامنياته «الغريبة». حكى كلاما عن المستقبل، وكانا يتنزهان على الشاطىء..

ابتسمت.. وأخفت «سخريتها» !

حكى عن راتبها وراتبه، وأحلامها وأحلامه، وعمرها وعمره.. وحكى عن أصلها وأصله واخواتها واخواته.. وصديقاتها وأصدقائه.. قال أنه «يمكنهما» أن يحلما معا، ويسعيا معا ويعرقا معا.. وضحك لأنه تذكر حوارات الحب في المسلسلات !! ومع ذلك قال لها، يمكننا أن نفعل شيئا : نتزوج وننجب ونفرح بالكد والجد والأمنيات..

سألته :

ـ وأستمر في العمل ؟

قال : ولم لا ؟

قالت : بل لا .. وألف لا ..

وعندما انتهت النزهة، رجعت إلى البيت وأخبرت أمها بالحكاية :

ـ ظننت انه يناسبني : لكني اكتشفت انه... «لايصلح» !!

ـــ أريد أن أناقشك يا أستاذة ؟

* بل أفضل أن تناقشي نصي !

ـــ أي نص ؟

* هذا الذي اكتبه عن البنات والحب والزواج.

ـــ أفضل أن أناقشك بقضيتي.

* تحت أمرك !

ـــ هل تعتقدين أني مخطئة لأني أرفض أن أتزوج رجلا فقيرا ؟

* فلنتفاهم بدءا حول صفة «الفقير».

ـــ الفقير هو الذي لايملك الوسائل التي تجعله يؤسس بيتا ويتحمل مسؤولية عائلة..

* لوحده ؟

ـــ طبعا لوحده !

* لماذا ؟

ـــ لأن الدين يوصي بهذا أولا، ولأن الرجل يفضل أن تمكث زوجته في البيت لينفق عليها.. ويحكمها !

* وهل تفعلين ؟ وانت الخريجة التي تملك موقعا وظيفيا طيبا ؟

ـــ ولم لا أفعل إذا كنت أحبه ؟

* وما الذي يجب أن يفعله «هو» حتى تحبينه ؟!!

ـــ أوه.. انك تحاولين الايقاع بي !

* بل اجرك الى الاعتراف.

ـــ بماذا ؟

* بما تخبئينه من مبررات خلف هذه «القياسات» !

ـــ أنا لا أخبىء شيئا، بل أكشف لك كل أوراقي.

* وأنا لاأفعل شيئا، بل أفتح لك كل مساحات نصي..

ـــ سأخبرك إذن أن الفقير لا يأتي بالسعادة، وقد علمتني التجربة أن «الكفاح» كذبة ونكتة «بائخة» !

• كفاحك أم كفاحه ؟

ـــ كفاحنا معا..

• وإذا كافح لوحده ؟

ـــ إذا كافح و«جاب» .. فمرحبا !

• والحب والتفاهم والانسجام الذي بدأنا به الحوار قبل أن نفتتح النص ؟

ـــ كله يأتي.. تصوري مثلا ألا اشعر بحبه عندما أجلس معه في مطعم راق.. على ضوء الشموع !؟

وتصوري الانتفاهم وهو يقدر أن يشتري لي كل شيء !!..وتصوري الا ننسجم وأنا أفتخر بوظيفته أو شركته أو ثروته أو...

• وماذا عن المكوث في البيت.. و«التحكم بك» ؟

ـــ عند ذاك يصبح الأمر من حقه.. اليس هو الرجل ؟ وهو الذي يتعب وينفق ؟؟

• طيب ياعزيزي... ارجعي إلى البيت !

ـــ وانت يا أستاذة ؟ لو كنت مكاني ماذا تفعلين ؟

• كنت أرجع أنا أيضا

ـــ إلى البيت ؟

• كلا. بل الى ضميري !!!

● أمـــال ●

«..أنا مع «دلال» .. ولعلها تأثرت بي، وعاشت تجربتي وخرجت بهذه الحصيلة. أنا أيضا خرجت وقلت : التوبة.. الفقير كذاب. دجال. منافق. يقول لي عن كد وجد وكفاح.. !! يمطرني كلاما وآمالا.. ثم يحصدني. يحصد عرقي وشبابي وراتبي.. احببته. تزوجته. عشت معه مع أهله. ثم في شقة صغيرة. وكان يصبح غولا عند نهاية كل شهر. يأخذ مني كل الراتب. يحاسبني. يضطهدني. هذا طلقته. ضقته واحتفظت بما تبقى لي من صحتي. اخذ كل الحاجيات، كل ما اشتريته وكل ما ادخرته.. تركت له كل شيء.. والآن ؟ .. الآن عدت من جديد. من الصفر. وبقناعة أخرى : الرجل كذاب. عندما تملك المرأة راتبا أو وضعا يصبح امتيازها هو هذا «الشيء» فقط... وهذا ينبغي على المرأة أن تشعروا أنها لاتملك شيئا.. ما تملكه فقط هو جمالها أو شبابها.. إذا أراد أن «ينال» .. فليدفع !!

هذه المرة لن اختار الا «نوعية» أخرى !!

رجل يحكمني. يضطهدني. يبقيني في البيت. يمنعني من العمل. يفعل بي مايشاء. ولكن .. ان «يدفع» أولا.. بيتا، وسيارة، وكساء، وسفرا... و... وسوف انسى الماضي وأطيعه واحفظ ماله لي و... بصحتي !

* أحـــلام *

يحاول النص أن يحمي نفسه. فمنذ أسطر بدأ يصاب بغثيان. كانت فتيات كثيرات يقتحمنه بتلك الاختيارات اللزجة والهشة، وقد حاول، وطوال يوم كامل، أن يبحث عن إضاءات جادة. فتش عن امرأة المعقول ورجل الحق وطرق الحياة الصعبة والنبيلة، وهمس لنفسه بالكرامة، وفرد تخطيطات النشاطات السكانية والقوى العاملة وأحلام وطموحات أبناء العالم الثالث، أجيال الاستقلال ومشارف أعوام الالفين !! بحث عن بنات الكليات وفتيات المصانع، وشابات ربيعات الأيام القادمة، وفتش في العيون وفوق الجباه عن الحكايات الحقيقية، والمرسومة بالعقول المتفتحة وحكمة القلوب..

نادى بين الجامعات وبنات الثانويات، وفتش في الطبقات..

كانت «أحلام» النص مزدهرة بالكلام ومتخمة بالتنظير وبالأدب..

وعندما صار الكلام شخصيات.. خرج النص من جلده واكتسى تلك الطبقة من شحم الهفوات، وأصيب بزيارة حكايات عديدة، تتكرر فوق الشفاه، تتلبس اقنعة وظروفا، ثم تفضحها زلة قلب وإيمان...

هل ترجع الدنيا إلى قوانين الاماء والجواري ؟

وإلى أين تذهب من تحلم بفتح أبواب الحياة بمفتاح كيد النساء.. وكيد الرجال ؟؟

الزيـارة

• سنـاء •
• وفـاء •

كان يجلس بينهما كطفل مجبر على الادب، وعلى إثر هذا الوصف تساءل النص أيها أمه وأيها زوجة أبيه ؟!

وابتسمت الورقة !

نحن في شقة غادرت نمط المؤسسة الاجتماعية فطلت جدرانها بملصقات الحريات الأوروبية، وفتحت شبابيكها على بساتين الملذات.

تقطن الشقة «سناء» ويكاد يقطن معها ذاك الرجل الذي بدا كالطفل المجبر على الادب في أول فقرة من النص، وقد تململت الآن «وفاء» وطلبت حق تقديم نفسها في جلسة الاعتراف المفترضة هذه. وفاء جاءت في زيارة مفاجئة خاطفة، أعجبها الجو ولم يعجبها الحال، فالرجل الذي يصر النص على أدبه لا يليق بسناء. إنه أصغر منها، وأجمل، ثم أن علاقتهما لم تبدأ بعد، فسناء تقول لها، مازلت أفكر في إبقائه أو طرده، يبدو أنه بخيل، زياراته كثيرة ودعواته نادرة، كلامه كثير وفعله قليل.

الآن، ولكي تخرج من النص، تتذكر وفاء كل هذا الكلام وتقرر خفية عن سناء أنها لن تغادر الشقة إلا وهي تجر الرجل المؤدب من يده وتمضي به إلى «بيتها» في المدينة القديمة. ويبدو كما حكت للنص بعد ذلك أن ماأصابها في هذه الزيارة هو ال «كودوفودر» !!

سناء بعد انتهاء الزيارة :

«خرج ابن ال..» مشى معاها. صيدته !!

.. وفاء في اليوم الثاني :

«هل ستعود الى تلك «الشارفة» ؟؟

الرجل داخل النص :

ــ مارأيك ؟

.. بماذا ؟

ــ بما حدث لك في تلك الليلة !

: أية ليلة ؟

ــ ليلة الزيارة.. بين سناء ووفاء ؟

* ماعندي ما نقول !

ـــ كيف ؟

ـــ هكذا !!

* كيف «هكذا» وقد انتقلت في ليلة من علاقة إلى علاقة ؟!

ـــ لم أعد أقدر على السيطرة

* أية سيطرة ؟

ـــ هناك قوى خفية تحركني ..

* كيف .. أحك لنا ..

ـــ حدث أني كنت عائدا إلى البيت، بعد أن قررت قطع علاقتي بسناء. أعرف أنها لاتصلح لي، لكنها قدرت أن تديرني .. كيف ؟ لا أعرف .. كنت عائدا إلى البيت، وجدت نفسي في منتصف الطريق أوقف تاكسيا وأذهب إليها. وبعد أن.. (عبارة حذفها النص) قلت لها أنها «سحرت لي عند شي شوافة» فأنكرت .. مع أني متأكد من أنها سرقت لي جواربي ذات يوم !!!

* ووفاء ؟

ـــ هي الأخرى فعلت في نفس الشيء .. كنت جالسا بأمان الله مع سناء. كنا على أحسن حال إلى أن جاءت ولا أدري ماذا حدث .. شربنا وتعشينا و«قصرنا»، ورأيت نفسي أشتم سناء وأخرج غاضبا برفقة «صاحبتها» !!

* وبعد، ماذا ترين ... أنا الآن فوق ورقتك أحكي كل هذا ولا أدري ماذا أفعل .. مارأيك أنت في «كل هذا الشيء» ؟؟.

عاطلـــة

ثـريا

سعـاد

ورقتي مؤهلة لاستقبالها، ونصي يفتتح نفسه بهدوئها المقتحم، بجلابتها الصفراء، باكتناز وجهها وبياضه، بلكنتها الشمالية، وشهادتها التي أصبحت قديمة مهترئة !

تسمي نفسها ثريا وتعلن حماسها للكتابة بعد أن كرهت التعليم.. تريد أن تدافع عن الظلم !!

قلمي يستأذنها لحظة ويهمس لي بنقطة نظام.

قولي أنها .. قالت لك .. أنها تغيرت !!

تبتسم. تقول : حقا تغيرت. كنت أكتب القصائد، ولي محاولات في كتابة القصة، والمقالات. عملت قليلا معلمة في مدرسة ابتدائية مع أني جامعية مؤهلة للعمل في ميادين القضاء. اعتقد أن الكتابة أكثر جرأة !!

قلمي يستأذن. أرفض نقطة «نظامه» ويتابع نصي هدوء ثريا المقتحم :

«تريد أن تعترف بالخذلان الأكبر، منذ أن كتبت قصيدتها عن اللبناني والفلسطيني وعن كل قهر محلي وعربي ودولي..

كتبت ثريا قصيدة للفلسطيني منذ خمس سنوات، واللبناني منذ ثلاث سنوات، قالت انها الحبيبة والأخت والأم والزوجة.

قالت للمناضلين لا تتغيروا، وللمحاربين لا تتفرقوا، لكنها لم تعد قادرة أن تفعل ذلك الآن. قالت لهم أنا الأرض وحكايتي تحت التراب وفوق شواهد قبور الشهداء وشواهد كل ذاكرة جماعية. لكنها تغيرت الآن.. صدقوني قالت أنها تغيرت. كان قلمي مأخوذا بصوتها و لم يطالبني بنقطة نظام، ونصي مفتوح الذراعين وناره فوق جبال العرب تشتعل. قالت ثريا إنها تغيرت. كل النساء العربيات تغيرن، لم يعدن قادرات على «شد العزم والحث».

لم يعدن قادرات على التحريض !! مخنوقات بالأزمة الاقتصادية والتغييرات التي عملت سلبا في بنية العائلة !!

ثريا تغيرت. كانت تدافع عن الظلم. في الكلية «حللت» قصيدة المتنبي

فرفض الاستاذ تحليلها ثم سرقه منها وعندما دافعت عن نفسها طردت من القاعة. وفي المدرسة الابتدائية حيث عملت مدرسة «حللت» ظاهرة الوساطات والامتحانات والقبول والرسوب ... فسرقت الملاحظات منها وأرغمت على الالتزام بالبرنامج !!

أصبحت الآن أكثر هدوءا، وأقل دفاعا.

بهذا الهدوء تقتحم نصي وتغادر الواقع. تطالبني بفتح الأبواب وتعدني أن تكتب عن المحاكم والأطفال، وتعدني أن تستمر بحمل لقب عاطلة عن العمل مالم تفتح لها الصفحات لتعبر عن إحساسها بالظلم الكبير والصغير .. والمتوسط !!

« سعـــاد »

وضعت اسمها في قائمة شخصياتي فصاحت لماذا تحاولين مسخي ؟ لن تستطيعي معرفتي كما ينبغي. ولن تقدري أن تختاري «مني» ما يصلح للنشر !!

. نعم. جئتك صامتة، متطفلة، أرافق صديقك وزميلك اللبناني لتسألني عيناك .. من أين جاء بي .. ؟ وعرفت فيما بعد أني أتقن اللغات الأجنبية واني قارئة نهمة واني لست غير صديقة طيبة، أحب «الغرباء» !

لماذا تزجين بي الآن، بين سطورك وما وصلك مني إلا نتفا من كلام وانتظارات طويلة، وأزمة، لا تعنيني وحدي بل تعني عشرين ألف خريج وخريجة يتشابهون في الحالة ويختلفون في أبراز ظواهرها ؟؟

نعم. قرأت لكم وولت ويتمان الذي أحب، وحكيت عن الشعراء العرب، وذكرني «ب» بمسرح اللامعقول وقلت لي كم تحبين مسرحيات الفرد فرج وميخائيل رومان و ... قاطعتك أكثر من مرة و«استعرضت» أمامك كل ثقافتي «الانكلوساكسونية» فصحت حينا وسخرت حينا وتفرجت في نهاية السهرة على هذه «المخلوقة» التي تذوب عشقا وتعلقا «ب» .. الصديق الغريب !!

ياعزيزتي :

أريد أن أنسى، لاتكتبي عن داري في البراكة، ولاعن أخي سجين الحشيش، ولا عن أختي التي لا أعرف إلى أين مضت، لاتكتبي عن أمي التي توقعت من «عملي الكثير» ولاعن أبي الذي يعيش خلف «الكونتوار». لا تدخلي دارنا وتنمقي لغة طيبة أو خبيرة .. ستكتشفين حالا كم انك اخطأت الدرب وأسأت الاختيار ...

نعم. يحق لنصك أن يتذكرني، مثلما يحق لي تماما أن أنسى ..

فاكتبي ماشئت عن انتظاري وضعفي وعشقي اللامعقول لاي «غريب» يستمع إلي ويعطف .. تكفيني رأفة عابرة في زمن يمضي بي إلى توقف مدمر .

أعلم أن الوقت لديك لايسمح بالكلام مثلما يسمح باقتناص الكلام وتوظيفه، لكني مع ذلك اذكرك بأني في سنوات الاختناق هذه لا أتنفس إلا بما قاله ويقوله شاعر فلسطيني، ولو أني تمنيت أن يخبره صديقك وزميلك اللبناني، عن الأوطان التي لاوطن لها، وعن الشباب الذين بدأوا شبابهم شيوخا يتمنون العودة إلى صبا الأوطان وصبا الكرامة والحق.

ياسيدتي :

لن تقدري أن تجعلي «سعاد» تصبح قضية فسأظل في ضمائرهم نقطة شاحبة، فماذا يعني أن تنتظر شابة عملا في زمن يغلي بالقضايا المصيرية ؟

اكتبي إذن عن القضايا المصيرية ولاسقط من نصك وجها عابرا. وصوتا قرأ لك ذات ليلة عن أوراق العشب وضربات الشمس وفما اكتفى بوجبة عشاء وكأس وسيجارة !!!

هذا الانتفاخ السري

* خديجة
« البائسة »
« سمية »

« خديجـــة »

إلى الدوار، تذهب السيدة لتسأل عنها بعد غياب امتد خمسة أيام متتالية.

«آه تريدين «الشلحة» ؟ انها، رحلت الى بيت آخر ..

وفي زقاق يفترق عن مسكنها القديم ببعض البراكات والمستنقعات تقرع باب البيّت البلدي، فتفتح لها عجوز وتشير إليها حيث تقطن المستأجرة الجديدة.

تبدو خديجة شاحبة، منتفخة الصدر، والارداف. هامسة، بطيئة، والسيدة تحاول أن تكتشف سر غيابها المفاجيء :

ـــ هل اغضبتك يا خديجة ؟ هل ازعجك الأولاد ؟

« لا .. يالا .. ماكانش هاذا الشيء ...

ـــ مابك إذن ؟ ولماذا غيابك ؟؟

« عيانة يالا.

ـــ بماذا ؟

« لا أدري. صدري يؤلمني .. ومنفوخة !

ـــ هل ذهبت إلى الطبيب !

« مشيت للمستشفى .. أعطوني حبوبا .. وابرا ..

ـــ وماذا قال لك طبيب المستشفى ؟

« برد ... قال برد ودابا يدوز.

* * * * *

عمر علاقة السيدة بخديجة ثلاثة أعوام، وثلاثة أعوام كانت تكفي لتعرف السيدة عن خديجة كل شيء .. أو .. لتظن أنها تعرف !! ماذا تعرف ؟

انها أرملة .. أو بحكم الأرملة. وأن لديها خمسة أولاد، ثلاثة يعملون في قطاع الصناعات التقليدية واثنان في المدرسة، وانها اختارت منذ أكثر من خمس سنوات أولادها، ورفضت أن تتزوج أو ...

تعالي يا خديجة ..

تقترب خديجة من النص .. وجلة، خجول، لكنها تنفلت .. لايمكنها أن تعترف، بل هي لاتدرك أصول لعبة الأسباب والموجبات .. يعطيها النص حق الكلام فتلغي المعقول وتقول :

لم يكن بإمكاني أن أحكي للسيدة «قدام الدراري»، لم أقل لهم شيئا، لا .. أنا لست حاملا «من الآن» .. هو .. هو أبوهم قبل أن يذهب ويموت ترك لي الجنين .. «كان راكد» .. ومع السخونية .. ودايا قام «فاق» وكبر ليّة لا .. لا .. مايمكنش .. معقولة إني حاملة دابة .. ومن ؟؟ مايمكنش .. هذا طفل معايا من زمان وكان راقد .. بالصح كان راكد ... ودايا شغادي ندير ؟..مكتاب والسلام .. غادي نمشي للمستشفى ونعطيه للناس !!

أحمل أوراقي وأذهب إلى «السيدة».

ـــ أريد أن أكتب عن خادمتك. تفاجئني طيبة أو اهمال :

« مابها خديجة ؟ ذهبت إليها فقالت إنها مريضة .. ووعدتني أنها ستعود حين تشفى .. ومازلت انتظر .. ففي الحقيقة انني مطمئنة إليها ومن الصعب علي أن استبدلها بأخرى .. خديجة طيبة وعاقلة .. وقبل كل شيء امينة .. ثم إنها امرأة كهلة .. لاأخاف أن أتركها وحيدة في الدار، مع أولادي أو بمفردها، لاأخشى على أدوات زينتي ولا على الهاتف وما يعجبني بها هو حرصها على

أولادها، تصوري إنها تفضل دوما أن تذهب لتنام إلى جانبهم .. حتى ولو تأخرت عندي لتساعدني في إعداد العشاء للضيوف أو ...

إني أحترمها .. فهي تعيش لأولادها، تكافح من أجلهم، لم تختر كما قالت لي .. منذ أكثر من خمس سنوات رجلا آخر غير زوجها الذي رحل .. ربما مات كما تقول .. ولم اكتشف يوما أنها تتمنى الزواج .. كل مايشغلها الأولاد، وكل ماتتمناه أن تشتري ثلاجة و«تتأجر» «بيتا مع مطبخ» و ..لكن .. مابها خديجة ؟ لماذا تسألني عنها ؟.

ـــ خديجة حامل !

• معقول ؟

ـــ هذا ماقالته لي جارتها .. وما اعترفت به خديجة بنفسها ..

* معقول ؟ .. إني مغفلة حقا .. بل أنا اغبى امرأة في العالم ...

* * * * *

لم تكن «السيدة» غبية كما ادعت .. بل هي لم تر من خديجة غير وجهها كخادمة. إمرأة «بالمريلة» واليدين الماهرتين .. حتى انها كانت تضحك عندما تلحظ اثار طلاء الأظافر الأحمر يتفتت بين أصابعها .. كانت تسخر منها : «أبعد هذا العمر ياخدوج .. وبعد جيش الأولاد هذا ؟؟

والحنة ؟ والكحل البلدي ؟ والحك في الحمام !

لم يكن للسيدة وقت لتلاحظ أكثر .. فخديجة، الطاهية والغسالة وصانعة الحلوى والمنظفة الأكثر بياضا فقط ..

إنها الوجه الشاحب، الشعر المهمل، الجسد المتغضن والروح المتعفنة، سلوى الصغار وحكايات العروبية .. وعندما ترقص خديجة فإن ذلك يأتي في باب اضحاك وترفيه الضيوف في مناسبات أعياد الميلاد والعودة من السفر ..

هل ضبطت خديجة ذات يوم تغني أو تضع الأحمر ؟ أو ترتدي القفطان ؟ أو تفكر بحبيب ؟

لأحد يملك وقتا فائضا ليلقي نظرة إلى دقائق خديجة المسروقة من يومها : إلى التمايل مع أغنية بربرية وإعادة لمسات «المزود» فوق الأجفان المنهكة ... وانتظار شخص ماعند محطة الاتوبيس، والمبيت خارج الدار بحجة البقاء مع «السيدة»

هل أحبت خديجة ؟

هل اخطأت ؟

هل يحق لها أن تحب وتخطىء و ...

* * * * *

أعود إليها في الغرفة الجديدة التي استأجرتها مؤخرا ..

كل أفراد العائلة يقولون إنها «عيانة» و«دابا تطيب» ..

والجارة تهمس أنها ليست المرة الأولى .. وأن خديجة تغيب دوما عن البيت، وأنها منذ عامين ارتكبت الفعل نفسه والجارة ساعدتها والمستشفى أخذ الولد» .. و ... سيكون النص أكثر جرأة .

ــ تعالي ياخديجة .. أنت في الأربعين .. ولك خمسة أولاد.. وتعلمين ماذا تعني العلاقة الزوجية والحمل والولادة والانجاب و ...

كيف يمكن إذن أن تكوني الآن حاملا ؟ ألم تفكري بأولادك ؟ بجيرانك ؟ بعملك ؟ وقبل كل هذا أنت مؤمنة، وتؤكد السيدة مخدومتك أنها كانت تراك تؤدين فرائض الصلاة والصوم .. فكيف .. كيف يمكن أن .. ؟

تقودني خديجة إلى باحة البيت، ثم ترافقني إلى السيارة، أقفل الباب ونلغي كل رقابة وأود أن تطمئن وتعترف ...

لكنها تغيظني، وتخرب سطور نصي كطفل ابله، تشاكس عقلي عيناها الطيبتان .. هل خديجة تحتاج إلى محلل نفسي أم أني أحتاج إلى حضور ندوة تصنف لي مبادىء السلوك البشري بين الحرية الشخصية ووسوسة الشيطان وجرعة الوعي الاجتماعي التي يمكنها أن تجعل من المرأة عضوا منتجا في المجتمع وكائنا يملك استقلاله ومساواته و ...

ه شغادي نقولك ياللا ؟؟ .. هو الآن ليس هنا .. هناك بالبلاد .. وهاذا الشيء ليس الآن .. كنكولك كان راقد .. مكتوب وصافي .. لم أقل للاولاد .. ولم يسألني أحد.

لا .. لم يسألني أحد .. حتى ابني الأكبر ..

على كل حال .. لو أبقيت الولد معي .. يدبحوني .. يأكلوني ... الأفضل أن أعطيه للمستشفى ... حاولت .. حاولت بالدوا ديال العروبية .. وبالابر .. بلا فائدة .. مكتاب .. مكتاب له يجي للدنيا .. أنا ؟ .. غصبا عني سأعطيه... وشي غادي ندير؟... أعطيه والسلام...

أتلقى رسالتها واختطف منها مايكفي للايصال :

«... في الرابعة عشرة من عمري اكتشفت أن من أعيش معهم ليسوا أهلي وأنهم حملوني من إحدى المستشفيات .. ولكنهم رفضوا أن يعترفوا لي بأهلي الحقيقيين .. وهذا مادفعني رغما عني للابتعاد عنهم .. ذهبت إلى (الجنوب) وعشت في إحدى المدن (ذكرت لي اسم المدينة) عشت حياة مليئة بالتجارب وبالضياع ... ولم أكن عندما غادرت المنزل الذي تربيت فيه «عذراء» ورغم أني أعرف الشخص الذي اعتدى علي غير أني أخاف أن أبوح به لأنه قريب لمن هو بحكم والدي. بالإضافة إلى سنه ومركزه !

في الجنوب تعرفت على إنسان طيب. خلوق. أحبني .. لكني خدعته .. أوحيت له بأن الشيطان دخل بيننا وفي ليلة لم نكن فيها بوعينا حصل «المحذور» !! (التعبير طبق الأصل عن الرسالة)

(... تأثر كثيرا وأراد أن يعترف بجريمته .. لكنه مظلوم فله زوجة كافحت معه عشر سنوات وتحملت فقره ومشاكله ولهذا فهو لايستطيع التخلي عنها ..

ماذا أفعل ؟ إني حامل، ولست متأكدة من أن حبيبي هو والد الطفل، لكنه هو نفسه يظن هذا ويتعذب .. وأنا أتمنى أن يبقى لي الولد فربما يدفعني إلى الطريق السليم ولكن ماذا سيكون مصيره بدون أب وإذا انجبت بنتا فهل ستلقى نفس مصيري ؟)

التوقيع (البائسة).

* * * * *

سأحاول الذهاب إلى «أهل البائسة»...

سأفترض أني استطيع تأليف نص ينتهي مثل الحكايات :

اكتشاف الأب المجهول، الندم، الغفران، التوبة، وتأليف حياة هانئة لأسرة سعيدة !

أصل الى البراكة، وتتولى الأزقة المجدورة بمجاري المياه حذف كل أفكاري المتبرية، ويجد نصي نفسه، طفلا غبيا أمام مفهوم «الام» أو من تقوم بدور الأم في حياة البائسة :

«... مايمكنش نقبلها في هاد الدار ..»

قرار يطلق بلسان جاف ونظرة تقول عنها النصوص الأدبية أنها ثاقبة !

الأم تخاف من «الفضيحة»، ولايمكن استقبال الابنة ببطنها «المنفوخة» و«بدون وثيقة زواج» ! فالناس «ستأكل وجهنا» والأب ...

صحيح .. الأب، هل سيقتلها لو علم بالأمر ؟؟

لكن الأب يجلس في مدخل البراكة، فيما كنا نتهامس نحن في الغرفة الصغيرة، بيننا وبينه ثلاثة أمتار ..

« انه يستمع إلينا إذن !

ـــ بالطبع كايسمع !!

وأخاف ...

لكن خطواته المتثاقلة ونظرته التي ستموت في أي نص أدبي تخذلني. انه لايقول شيئا. لايغضب ولايثور. لايتوعد ولايتهور. لايحزن ولايذل ..

أهو هذا الميت الحي الذي ...

« هل لأنك ياسيدي .. لست أباها الحقيقي ؟

ـــ شغادي نقولك ؟؟. رجاها في الله ...

« هل تقبلها، تائبة ؟

ـــ مايمكنش

« هل ترفضها ؟

ـــ بنتي وأريدها ... مكتابلها وصافي ..

« هل ...

يحشرج السؤال، تموت الأوراق. يتسلل النص مخذولا وقاصرا عن الفهم والتحليل !!

* * * * *

«إلى .... البائسة ..

العنوان الذي سجلته لي صحيح. ذهبت إليهم وهم يرفضون استقبالك بغير رجل وبغير وثيقة» ... ولكن أملك اقتنعت أخيرا بقبولك بدون رجل .. وأعني (أب للطفل) لكنها اشترطت «الوثيقة» لكي يراه «أهل الحومة ويحمر وجهها» ..

سأحاول غدا أن ألتقي بالطرف الآخر .. فغدا موعد وجوده في العاصمة كما ذكرت لي ...»

* * * * *

لايترك لورقتي أية مساحة بيضاء للسؤال. وجهه النفسي يقتحم أكثر من المساحة المخصصة له، ولهجته السريعة المتلاحقة تجعله يغلبني في أول جولة للفقرة !

« .. من أنت «بعدا» ؟ من أين تعرفين «البائسة» ؟ ماهي حدود علاقتك بها ؟ هل انت مساعدة اجتماعية ومن المخزن ؟ ومن أعطاك عنواني ؟..»

عندما أقدم له «جواز المرور» إلى منطقة اقطاعه النفسية والتربوية، أراقبه وهو يقرأ رسالتها.

(انبهكم اني قدمت له رسالة ثانية موجهة من البائسة اليه مباشرة، وهي غير الرسالة / الفضيحة) !

— ودابا شبغيتي ياللا ؟؟

ـ لاأريد شيئاً .. هي التي تريد ..

ـــ ولكنها أرسلتك لي .. ماذا أردت تعرفي أكثر ؟

ـ لماذا يخون الأزواج زوجاتهم ؟

يضحك ولايعرف لماذا ويدهش انه يحب زوجته ويحترمها وفي نفس الوقت فهو متعلق بالبائسة .. يشعر أنه أضاعها (يقول ذلك ولا أصدقه .. كأنه يحس أنه ليس المسبب الوحيد لانتفاخها السري)

ـــ .. زوجتي ليست معي هناك ... وعندما أكون وحدي فإنها (ويقصد البائسة) تملك وحدتي .. هي طيبة ونبيلة وتحبني. لكني لاأستطيع أن أفعل لها شيئا .. مايمكنش .. زوجتي «تحمق» لو علمت .. وحتى «الوثيقة» الآن صعب أن أحصل عليها بحال قبل ! .. شغادي ندير ؟.. مكتاب وصافي ..

ولكني .. أنا لن أتخلى عنها .. غادي نوقف معاها مهما كان !

• سميـــة •

يجب أن أطلق عليها اسما ما، وأختار من أوصافها ملامح كي أستطيع أن أقدمها لكم. وقد كنت أفضل أن أترك لها حق الكلام، لكنها غادرت إلى فرنسا. فهناك ــ كما قالت وكما تقول لي دوما ــ تشعر بحرية حقيقية وبشيء من الاحترام والاستقلال. أما هنا ...

سأسميها «سمية» وهو اسم يقترب كثيرا من اسمها الحقيقي، وسأختار من ملامحها : ضآلة القد، وضمور الوجنتين، وثعلبة النظرات. وستكون بشرتها سمراء، أكثر حدة من لون بشرتها في الواقع !

«سمية»، في لقائنا الأول كانت هادرة، تخطب وتناقش وتتحرك كأم العروس في قاعة المؤتمر الطلابي. تدير صولات الكلام وتجول بين رفاقها محتدمة، صاخبة، متمردة ...

من هي ؟

لايمكن قراءة وجهها وأعماقها، فهي مخبأة بالأقوال وبالصفحات، تطلق النقاش هادرا للتحدي وتأكيد الحضور، تحجم عن سماع أي رأي لأنها ستكون منشغلة بإعداد أوراق «تدخلها» للجولة القادمة.

فتاة مشحونة بالكلام وملتبسة. همست و لم تسمعني، ثم جاء من قادنا إلى معرفة أكثر قربا فأمسكت بيدها ذات يوم وقلت : اجلسي واخبريني .. لكنها هربت.. وها أنا اللحظة آمرها من فوق.. الورق!!

* * * * *

تكدس سمية وصديقاتها الكتب والملاحظات فوق ألسنتهن ويكن على أهبة الانقضاض على كل من يتساءل عن حدود التطور وعن الوعي وقدراته الهائلة في تحريك بوصلات السلوك .. ونقول لهن «طيب. أحيانا» ولكن سمية تقود الحملة إلى تخلفنا وجهلنا وترجمنا بالحجارة .. ثم تهدينا الورود في يوم

المرأة العالمي، وتقول لصديقها «رشيد» يجب أن تعتاد معاملة المرأة الجديدة ...

لكن «سمية» تغضب من أستاذها في الكلية ..

يناديها محتدا أو ساخرا أو متذمرا : ـــ مارأيك يامدام ؟!

تزعل، تغضب تثور :

ـــ إنه يقصد إهانتي .. مامعنى أن ينادي كل الأخريات بـ«مدموزيل» ولي وحدي فقط يقول : «مدام»؟!

وتسألها إحداهن بسذاجة خبيثة : صحيح. لماذا ؟ هل أنت مدام حقا بامدموزيل سمية ؟

* * * * *

قالت لي : أريد أن أعطي دروسا للصغار في الرياضيات والفرنسية، هل تبحثين لي عن تلاميذ ؟

بحثت لها، وذهبت تستلم أجرتها وتبحث عن غرفة لها مع رشيد. كانت سابقا تقطن معه ومع مجموعة من رفاقه الطلبة. وكانوا يضايقونها. قالت : متناقضون .. يناقشون في القاعات وفي الشقة يحاولون استمالتي. أحدهم تجرأ فضربته ..

ـ وأين أهلك ياسمية ؟

تهرب أيضا .. ثم تترك لي معرفتها نتفا من المعلومات !

* * * * *

كانت سمية تقطن مع شقيقتها التي سبقتها إلى فرنسا، وهي الآن هناك برفقة شاب مشرقي «ممتاز» ومن المتوقع أن يتزوجها، وحتى لو لم يحدث ذلك فإن المشرقي يعاملها «مزيان» وباحترام. وهو كريم أيضا !!

اضطرت سمية [illegible]ـطن فترة من الزمن مع عائلة عمها، فوالداها عاشا

وماتا في «العروبية» وعم سمية رجل متخلف ... «تصوري .. لايمكننا أن نشطح أو نتحدث في التيلفون أثناء وجوده ؟ لايمكن أن أعود في وقت متأخر إلى الدار ؟! وفوق هذا لايمكنني أن أتحدث بالسياسة ؟! يقول : «اقروا بعدا ومن بعد سيروا للصداع»!!

سمية تريد أن تتحدث بالسياسة. تريد أن تحب رشيد. تريد أن تتغيب عن الكلية لأنها «بدون مزاج أو قانطة». تريد أن يفهمها عمها والناس والمجتمع ورشيد. تريد أن تتحدى : تشتم عمها وتطرد نفسها من داره، وتحب رشيد فتمنحه كل قناعاتها وتتغيب عن الكلية لأن الأستاذ متخلف وجاهل وتحكي بالسياسة على طريقة : «أقصر طريق للوصول إلى مركز الشرطة» !!

* * * * *

حرة، بين أقسام البوليس بسبب العيش في شقق العزاب، ومرافقتهم إلى المقاهي ..

وحرة بين اختيار مادة التربية لبحث التخرج ورفض كل أساليب تربية الناس الجهلة والمتخلفين !!

وحرة في اكتشاف حقيقة حب رشيد الذي انتهى ومات»

وحرة في اختيار التجربة الحرة بحثا عن الحبيب الديمقراطي الحر !!

* * * * *

الامتحان على الأبواب ..

جاءت تهمس بالعبارة، مرتجفة، ممتقعة.

ــ أنا .. أنا حامل يا أستاذة ؟!

«ومالي أنا» ؟؟

تحشرني بين هلالين من الغيظ والرفض والتردد ... تحتاج مساعدة مالية لتجري عملية إجهاض ..

تريد الإجهاض قبل إعداد بحثها من أجل الإجازة .. فالكارثة حدثت في لحظة من الحرية الصاخبة .. والحبيب مجهول .. ربما يكون رشيد لأن العلاقة لم تتوقف منذ إعلان القطيعة .. وله معها محاولات .. لكن أحمد .. ناضج ويتفهم حريتها .. وعبد الحميد لم تستمر معه أكثر من أسبوع لأنه .. ازدواجي الشخصية !!! و ... أوه !!!

قبل أن ترحل إلى فرنسا، حصلت الاحداث الثالثة في حياة سمية :

* جمعت مبلغ ألف درهم وأجرت عملية إجهاض لجنين تجاوز الثلاثة شهر (الزمن الذي تطلب جمع المبلغ) !!

* شاركت في ندوات حول قضية المرأة العربية والمرأة الافريقية، وتدخلت لأكثر من مرة حتى رفع المشاركون ضدها نقطة نظام !!

* حمل بحثها للحصول على إجازة التخرج عنوان «التربية السليمة في المجتمعات النامية» !

* ....

رجـال فـي حيـاة سمية

- رشيـد
- أحمـد
- عبد الحميد

سيدتي.

جميل منك ان «تذكرت» وجودي أخيرا، فسمحت لي أن أدلي ببيان حقيقة حول علاقتي بسمية .. ولست أدري إذا ماكنت تذكرين المرة الأولى التي قدمتني لك «سمية» وقلت لك يومها اني أقرأك بانتظام .. غير اني لاأفهم دوافع وأسباب هذه «الحملة» التي تشنيها على علاقاتنا الخاصة .. فما هو المهم في رأيك ؟ ما أعيشه أنا وسمية من علاقات حميمة ؟ أو مايحدث في مجتمعنا من انهيار للقيم وانتعاش للازدواجية على اختلاف أشكالها وأنواعها ؟

هل أنت أيضا تتبنين طروحات الدكتورة فاطمة المرنيسي التي تحمل وزر التخلف والجهل الثقافي والسياسي للبناء النفسي للرجل ولسلوكه الجنسي ؟

أعود إلى حقي في الدفاع عما بدا لي من إشكالية علاقتي بسمية .. ويخيل لي أنك بين السطور قد أدنت موقف سمية وأنا معك في هذه الادانة ليس من وجهة النظر الاخلاقية التي تبنيتها ولكن من منطلق مصداقية العلاقات عموما، وماحدث لي مع سمية لم يراع هذه المصداقية، إذ منذ اللحظة الأولى حين اتفقنا على قيام علاقة خاصة وحين صارحتها برغبتي في اعتبارها الصديقة الوحيدة لي، كان الاتفاق أن يعلن أحدنا الاخر في أية لحظة يجد فيها نفسه منزعجا من هذه العلاقة ورافضا لها .. غير أن سمية كأكثر البنات كانت تناقض نفسها في كل لحظة، تحكي عن الحرية وتطالب بها وفي نفس الوقت تخاف أن يعرف أهلها علاقتنا .. تدافع عن المساواة وتنادي بها وفي نفس الوقت تطلب مني أن أقوم بحمايتها ورعايتها والدفاع عنها لأني الرجل وهي المرأة !!

لم أكن في حياة سمية حبيبها الأول وحتى الآن لم يتسن لي أن أعرف من هو ذاك الحبيب المجهول الذي أدخلها عالم النساء ... والغريب أن معظم اللواتي عرفتهن كن يروين حكايات تبدو لي ملفقة .. عن «الوحش» الذي استغل براءتهن .. أو عن «الصديق» الذي وثق منه الأهل فانتهز الفرصة وقام

بالاعتداء .. أو عن الحبيب الذي مات فجأة أو هاجر ليبحث عن فرصة للعمل .. وبالنسبة لي فإن الأمور واضحه فأنا لا أهتم «بعذرية» سمية أو سواها طالما أننا متفقان على علاقة حرة، أما مسألة الزواج فتأتي بعد قناعات أخرى. وسمية تدرك كل هذا وتعرف اني لست مترددا إلى درجة يمكنها فيها أن تهمل وجودي أمام الآخرين إهمالا كليا، أو تتعمد عدم المجيء إلى الشقة بسبب مزاجها الصعب ..

غير ان كل هذا يبقى هوامش لا أهمية لها-أمام اكتشافنا معا استحالة علاقتنا بعد أن أصبحت سمية تعتبر نفسها شخصية مميزة لها انشغالات وارتباطات تبدو لي وهمية ومصطنعة ..

لقد حاولت سمية أن تجعل مني صديقا لأيام العطل وأوقات الفراغ، وكانت تستفيد من اطلاعي وملاحظاتي بشكل سري ومتكتم وكانت تصطاد مني الآراء والملاحظات بكل خبث عندما نكون وحيدين في الشقة .. أما أمام الآخرين فكانت تدعي كل ذلك وتبدو كزعيمة تخطب وتناقش في منتهى الذكاء والنبوغ !!

وعندما بدا لي أن علاقتنا توشك أن تموت سألتها : ماذا تريدين ؟ فاعترفت لي أنها نفسها لاتدري ماذا تريد.

أما أنا فأقول لك بكل صراحة أني أعرف تماما ماذا أريد وأني لم أعد أريد سمية غير أنني أستطيع أن أستدعيها في أية لحظة أريد وهي نفسها تدرك ذلك، لكنها ــ كعادتها ــ لاتعترف !!

• أحمـــد •

• أنت ياأستاذ أحمد إنسان عاقل، تملك موقعك الثقافي والاجتماعي .. فكيف التقيت بسمية وماهي ...

ـــ سمية فتاة ظريفة جدا. ممتازة. غير متعبة إطلاقا، وليست معقدة ... ولقد نفضت عنها غبار الرومانسية الركيكة التي تربت عليها معظم الفتيات نتيجة استلابهن الميلودرامي للروايات العربية والأفلام.

• ماذا أعجبك في سمية ؟

ـــ جرأتها.

• وماذا أزعجك ؟

ـــ تصنعها بعض الأحيان وادعاؤها أمام الآخرين.

• هل تبدو لك سمية نموذجا عاما ؟

ـــ ليست نموذجا .. ولكن حالات سمية تشكل ظاهرة ينبغي أن تدرس.

• ممن ؟

ـــ من .. من المهتمين والأساتذة و ...

• أنت واحد منهم، هل درست سمية ؟

ـــ كانت سمية قريبة جدا مني .. لكني لم أتوفر على دوافع تجعلني أحول علاقتي بها إلى بحث للدراسة !

• ماذا كانت نصيحتك لها ؟

ـــ أن تحبني !

• هل أحبتك ؟

ـــ كانت تظن ذلك ... لكني كنت أعلم أنها تخلط مابين عواطفها واحتياجاتها ..

• لم نفهم !

ـــ سمية كانت تؤكد تفوقها من خلال علاقتي بها .. كان إعلانها لعلاقتنا يغمرها بالفرحة وبالتفوق .. وذلك ماكانت تحتاج .. أما عواطفها فأعتقد أنها لم تكن كبيرة وعميقة ..

• هل كانت تناقشك في موضوع حريتها الشخصية ؟
ـــ كثيرا وكنت أفهم دوافعها .. لكن مايحيرني كان رغبتها الخفية في الزواج مني .. على أنها تعلم أنني متزوج وزوجتي أستاذة و ...
• هل علمت بحالات الاجهاض التي تعرضت لها ؟
ـــ هذا الأمر يكاد يكون ظاهرة .. شخصيا لم أدهش غير أني خشيت على سمية لرقتها وضعفها.
• هل حاولت ان تعرف من ... ؟
ـــ ربما كنت أنا .. أو شخص آخر .. غير ان سمية في هذا الموضوع بالذات كانت مخطئة تماما .. وكان ينبغي لها أن تحتاط !!
• هل قطعت علاقتك بها ؟ ولماذا ؟
ـــ علاقتنا انتهت لأسباب عديدة .. أولا لأنه كان لابد أن تنتهي .. ثانيا لأن سمية سافرت والأهم أني انشغلت بالتزامات وبحوث .. غير أني مازلت أذكرها بالخير وأتذكر لحظات لطيفة عشناها معا وكانت صادقة !

* عبد الحميد *

« ... هذا موضوع تافه تماما، والأتفه منه هذا الافتراض إنه يشكل أزمة أو قضية أو مشكلة ...

هناك دائما هذا النوع من الفتيات اللواتي يتمسكن بالحرية والاستقلال من أجل الفوز بالزواج .. وسمية من هذا النوع. حاولت أن تفهمني أنها تحب وتدافع عن حبها وترتبط بمن تحب لكنها منذ اليوم الثاني لعلاقتنا سألتني إذا كان يمكن أن نتزوج في المستقبل !

كيف أتزوجها ؟ وقد مرت في حياة من أعرفهم ومن لاأعرفهم على طريقة :

«إلى كل الجهات سر !!» ؟.. يراني «صديق» معها فيقول : ألم تجد غير هذه ؟ ويشاهدنا زميل معا فيهمس : إنها بضاعة قديمة !! وأنا الآن أضحك بل أقهقه حين تتهمني (كما ذكرت لك) بازدواجية الشخصية !!

ماذا تريد إذن ؟ أن أعترف لها بأني احتقرها لأنها ترمي بنفسها أمام أي رجل بحجة الاستقلال والحرية ؟ أن أصفعها لأنها وقحة في إبداء رأيها الهزيل ونقدها المضحك ؟

بالطبع ... أفضل حين أكون معها أن «أجاريها» أكون لطيفا ومحبوبا ومتفهما و ...

لكنها ومثيلاتها لايمكن أن يخطر على بالهن كيف نتعامل معهن في عالمنا .. عالم الرجال ...

إننا نضحك وننكت ونفشي الأسرار ..

ولماذا لا ؟ من تظن نفسها، سمية أو غير سمية حين تبدأ في الكشف عن عيوبنا ومساوئنا وشراستنا ؟ ماذا كانت تظن وهي المطالبة برجل يفهم رعونتها وخفتها وتنقلاتها في قصص الحب ؟؟. ماذا كانت تظن ؟ أن يكون هذا الرجل أبله أو أحمق أو ...؟؟؟

إني حقا مصاب بازدواج في الشخصية .. لو لم أكن كذلك لما نلت من سمية ماأريد !!!

جئت لا أعلم من أين ؟!...

- حياة
- بهيجة
- سعدية

« حيـــاة »

يمكن «لحياة» أن تعيش ملامح حياتها في كل لحظة، يمكنها أن تخلق ظرفا يتيح لها أن تحلم بأمها، بأبيها، بالمرآة، بكل نوازع ابنة ال 17 المعلقة على مشجب طيش لارعاية له.

حياة —

تصفها محاولة سرد خارجي فتقول :

بيضاء كبنات فاس، تلف شعرها الأشقر الذي يخبيء سلالة أندلسية تحت منديل جاءت به من الشمال —

ربعة، رشيقة كبعض صبايا خنيفرة قبل أن يصبحن «شيخات» ! جميلة، ذاك الجمال الذي يجعل صاحبته تختار ممثلة ما لتحبها وتذكر الآخرين أنها — تشبهها !!

هادئة طيبة الملامح، تحب الفواكه والمجلات وصور نجوم السينما وتعشق الأفلام والمسلسلات.

عرفت المدرسة حتى الصف الخامس الابتدائي ثم أصبحت خادمة !!

* * * * *

تسللت «حياة» إلى غرفة المكتب كنت أتصفح كتابا من مختارات النثر العربي. لم آبه لها، جلست تقلب المجلات وتتأمل صور الممثلات تحملق في طريقة التجميل والألوان راقبتها تحلم وعيناها تسع كل الدهشة. كانت صامتة، ذلك الصمت المتأهب لاقتناص أية فرصة، ليهدم نفسه ويبني عمارات البوح !

جاءتها الفرصة فاخترقت المتنبي فوق لساني

«بم التعلل لاأهل ولا وطن

ولانديم ولاكأس ولاسكن»

* حالي بحال هذا الراجل

— هل تعرفين هذا الراجل ياحياة ؟

كانت كمثل قطة، قد اقتربت من كتابي. قرأت البيت حين كان أبو حيان يقرأه في الغريب — تركت صورة «نجلاء فتحي» فوق المجلة وشدتها غربة نحو ألفه لاتدري متى تبتر ملامحها.

لم تسأل ولم تطلب حتى الكلام مدت أصابعها الى الصفحة وأشارت إلى الأبيات داس أضفرها المحشو بآثار المطبخ أبيات الغريب.

إن الغريب بحيث ما حطت ركائبه ذليل
ويد الغريب قصيرة ولسانه أبدا كليل
والناس ينصر بعضهم بعضا، وناصره قليل

* بحالي !!

— بحالها

أهمس وأغلق الكتاب وألغي كل الجغرافيات وأحمد داخل قوسين كل اشتعال غربة عاشها أبو حيان، والمتنبي، وبيكاسو، وغارسيا ماركيز

أفتح بوابة القلب لالتقي غربة حياة.

* * * * *

* كلهم ينظرون إلي عندما تصرخ بي و«تعيرني» كلهم يتهامسون، يقولون «بالصح» لست ابنتها وكلما صرخت أخاف أن «تجري علي» تستطيع أن تفعلها تطردني إلى الشارع ذات مرة «دارتها» ومشيت أبكي عند ابنة خالتي. كلهم يتعجبون عندما أقول لهم إنها «أمي» يسألونني : هل يعقل أن تكون هذه «العجوز» أمك ؟

تجاوزت الستين وأبي سبقها بخمس سنوات وأنا ؟! «وحيدتهما» فتحت عيني بينهما أرسلتني إلى المدرسة أطعمتني الحلوى اشترت لي «الحوايج» ثم قالت

لي : آن الأوان لأن تساعديني، شعرت حقا بضرورة مساعدتها فتركت المدرسة وخدمت في «الديور» ! لكني بدأت أفهم وأسمع كانت همسات، ثم «قالوهالي» لست ابنتها وهذا ليس أبي والأقارب بدأوا يسمعونني الحكايات :

أمك تبحث عنك أمك تريدك «خصك تشوفي حل لهذا المشكل يمكن أن يأتي يوم «تجري عليك بالصح وتلقي نفسك بالزنقة»

وبالصح «رمتني بالزنقة» ثم صالحتني. لا تتحمل أن أرفض لها طلبا تعيرني في كل لحظة تقول اني لست ابنتها ثم تندم وأنا أبكي مرات ومرات أفكر وأقول يجب أن أجد أمي وعندما «أنام حداها في البرد» أشكر الله انه «هناك شي دار أجلس فيها» !

سمعت أن أمي تبحث عني قالوا أنها سألت علي في المنطقة القديمة حيث كنا نسكن أريد أن أذهب إلى هناك أبحث عنها أعرفها هل ستحبني ؟ هل تعيش في ظروف معقولة ! وإذا عرفت «أمي الآن» هل تقبل ؟ الا تطردني ؟ وإذا كانت أمي الحقيقية لاتقدر أن تبقيني معها فماذا سيكون مصيري وحتى الآن لاأدري أي أم منهما يمكنها أن تخرج لي بطاقة الحالة المدنية»!!

* بهيجـــة *

ضخمة مثل سنديانة. سمراء كالقهوة تخيف هذا الذهول الذي يلف وجهها، وغامضة ملامحها.

بهيجة تجيء من النكران تحمل لقب «خدامة» وتشي ضخامتها بخبرة وحنكة.

يظنها البعض في الأربعين، وأقرأ في حالتها المدنية عن عمر لايتجاوز الخامسة والعشرين.

عندما روت «حكايتها» كانت كمن يترجم صرخة ايليا أبو ماضي ويحيلها ويحيل الانصات إلى عمليات مستمرة من محاكمة الذات (لماذا الفرجة ؟ لماذا السمع ؟ لماذا تحال أدمى التواريخ الشخصية إلى صفحات وصور ؟ هل لنعكس ؟ لنذكر ؟ لنعبر ؟ أم لنعيد تأليف الحكاية بشكلها الأمثل حين نقبض على اللحظة الفنية بضرورتها ! حين نقول : ليس هذا الأمر يشبهنا بل هكذا يجب أن تكون الأمور ! أين تلك اللحظة الخفية المدهشة ؟ لحظة الفن حين تحاول أن تدثر «اللغة» موسيقى تنبض بإحساس وتأمل ؟ ولماذا يتفتت كل هذا اللحظة كمثل تفتت حكاية بهيجة بين غمامة الذهول فوق عينيها ومطر غبار مكنستها فوق عيني ؟؟

«كنت حمارة ! اكتشفت أني حمارة طردوني ومابقاش لي والو» ضحكوا علي أخذوا الذهب وباعوه واشتروا دارا و«خرجوني منها قالوا لي لانعرفك ولست اختنا» وإذا لم يعجبك الحال اذهبي الى «الروضة» وعودي بالميتة. تلك التي تقولين انها أمك هي ليست امك نحن لانعرف أما لك ولاأبا. جاءت بك بيننا و«كفاية عليك» تلك السنوات التي أكلت وشربت ونمت بها «فوبور» !! بالبلاش !

أمهم ماتت، هي أمي التي لاأعرف سواها. اشترت لي الذهب ولكن من مالي. كنت أخدم في «الديور»، ماعرفت المدرسة ولا «القراية» خدمت وعمري سبع سنوات.

وكانت تقول لي : الفلوس لن تفيدك، هذا الذهب سيجعل لك مستقبلا لكنها عندما ماتت ضحكوا علي، هؤلاء الذين تعودت أنِ أعرفهم ب «إخوتي» قالوا لي : هات الذهب لنبيعه ونشتري دارا بدل هذه البراكة. المخزن كيدير ديور مزيانة». أعطيتهم الذهب باعوه اشتروا الدار. «وكلعوني» ماذا أفعل ؟ «تزوجت» والراجل عيان والطفل مات ومازال كنخدم، عييت كالولي الناس يمكن نقدر ناخذ حقي. ولكن يجب أن أرفع الدعوى وأجد المحامي، والأوراق. وأنا لاأفهم شيئا، حمارة... حمارة»!!

« سعـديـة »

« أريد أن أعمل. أعرف الضرب على الآلة الكاتبة. أتعلم الانكليزية.
ـــ وأين كنت تعملين سابقا ؟
« في أحد المحلات التجارية.
ـــ ولماذا تركت العمل ؟
« ماعجبنيش الحال
ـــ لماذا ؟
« صاحب المحل يشترط علي أن ...
ـــ هذه حكاية معروفة. هل هددك بالطرد ؟
« نعم منع «راجلي» من الحضور الي.
ـــ لماذا ؟
« لأنه يقول أنه ليس «راجلي»
ـــ هل هذا صحيح ؟
« نعم
ـــ ولماذا لايكون «راجلك» ؟
« الحكاية طويلة.
ـــ هل تبدأ بالتهور الأول ؟
« لابل بتهور أمي.
ـــ وأين أمك الآن.
« تعيش في الخارج. وتنكرني.
ـــ لماذا ؟
« لأنها تزوجت وانجبت.
ـــ وأبوك ؟
لاأعرفه.
ـــ لماذا ؟

لأني ...

ـــ وأين نشأت ؟

عند أقارب بعيدين لأمي، تعلمت، درست ونجحت. يقولون أني ذكية. وأنا كذلك وإلا لما قدرت أن أتابع تعليمي. سأتخرج بعد سنتين.

ـــ وأين تعيشين الآن ؟ وكيف ؟

أعيش «معه» وتتقاسم الكراء والمصرف.

ـــ هل يعرف حياتك ؟

لا.

ـــ لماذا ؟

أخاف أن «يعيرني».

ـــ هل تفكرين بالزواج ؟

لا.

ـــ لماذا ؟

لأني ـــ لأدري، على كل حال لأظن أنه سيتزوج بي لو عرف حكايتي.

ـــ هل تعتبرين أنك حالة خاصة ؟

هناك بنات لهن ظروفي نفسها وأعتقد أنهن كثيرات.

ـــ وماهو الحل في اعتقادك ؟

الا تتهور الأمهات وترمي بأولادها.

ـــ لكنك تكررين الحكاية ذاتها !

من ؟ ـــ أنا ـــ أبدا.

ـــ كيف ؟

لقد أجريت حتى الآن أربع عمليات «كورتاج» وكل هذا من أجل ألا أنجب فتاة تتعذب بحالي»

المشرقي يأتي

• لطيفة •

اف

« الانسة (لطيفة) الكلمة لك والوقت المتاح لايتعدى الأسطر !

ـــ شكرا !!

« ... على كل حال أشكرك لإقامتك ندوة الشخصيات هذه لأنها تتيح لي أن أوضح موقفي منها تماما فأنا مغربية عشت بعض السنوات في المشرق ولي فيها أصدقاء ومعارف وذكريات جميلة لاتمحي .. ويمكنني في هذا الوقت القصير أن أقسم الشخصيات المشرقية التي تأتي إلينا إلى ثلاثة أقسام. قسم متخم بالفلوس يأتي ويظن أنه يقدر على شراء كل شيء .. حتى الأخلاق والقيم والعادات وقد يحدث أن ينجح أحيانا أو لأقل دائما ولكنه لايدري أن البقعة التي اختارها ليست نموذجا، ونحن على العموم عرفنا بالتعددية .. التعددية العشائرية والقبلية والجغرافية والتاريخية والفكرية والطبقية .. و ..

عفوا .. الوقت محدد لك ياآنسة ..

ـــ حاضر .. على كل حال «مشي مشكال» قلت .. هذا قسم .. والقسم الثاني أكثر رقيا، إنه يتشكل من مجموعة من الأكاديميين والاساتذة والمثقفين المنتشرين بين المنظمات الدولية والعربية والسفارات والمؤسسات الاقتصادية والتربوية وغيرها، المهم أن هؤلاء المشارقة لايملكون مثل هذا التصور لماذا؟ لسبب بسيط لأنهم أكثر نضجا وثقافة ولانهم يملكون من الأدوات مايجعلهم يعبرون عن نقط التقائهم واختلافهم معنا .. وقد نتهم نحن بعضهم بالتحجر الفكري .. لكننا نفتح عقولنا وأبوابنا للمتفتحين منهم فكريا وحضاريا .. وهذا طبيعي .. أما القسم الثالث فهو خليط عجيب من السياح وصغار التجار وأصحاب الوظائف المتواضعة .. وهؤلاء يتعاملون مع بلدنا كمثل ما يتعاملون مع أي بلد .. وأقصد على حسب تكوينهم وتربيتهم .. إن الذي يأتي إلى هنا ويقول ليس عندنا غير «الشطح والعيالات» هو نفسه الذي يذهب إلى السويد ولايرى غير «الشقراوات» وهو نفسه الذي يذهب إلى أمريكا باعتبار أن أمريكا هي «كوبوي وهمبرغر».

« نرجو من الجمهور عدم الضحك .. لأن الأنسة تتحدث جديا .. (ملاحظة من إدارة جلسة النص !!)

ـــ على كل حال .. ليس لدي ماأضيف لأني أعتقد أن الوقت المتاح لي انتهى ..

مع تحيـات محجوبـة

محجوبـة

ظهر يوم الجمعة (15 فبراير من عام 85) وفي مدينة الرباط حددت الصدفة موعدي مع محجوبة !

رأيتها وصغار مدرسة ابنتي يتحلقون حولها .. ومحجوبة تبكي وتحكي عن سنواتها التسع وأبيها الذي يعيش في مراكش والمرأة المجهولة التي سرقتها وجاءت بها إلى بوابة المدرسة وتركتها ..

• من أين حملتك المرأة السارقة يا محجوبة ؟

ـــ من مراكش

• وكيف وصلت إلى هنا ؟

ـــ جاءت بي إلى السوق، ثم كممت فمي وأغمضت عيني ووضعتني في «التوبوس» وتركتني هنا وأنا لاأعرف أين أذهب سوى إلى مراكش ..

• وكيف تذهبين إلى مراكش ؟

ـــ عندي «ثلاثين ريال» وأريد الباقي لأذهب إلى مراكش ... وبين أصوات الصغار وسؤالهم وحيرتهم كانت امرأة طيبة تعدها بأخذها إلى مركز الشرطة وتسجيل عنوانها ليتسنى لرجال الأمن التعرف ومساعدة محجوبة للوصول إلى أهلها ..

غير أن ماحدث بعد ذلك كان مفاجأة !!

* * * * *

قالت المرأة الطيبة، حارسة المدرسة في اليوم التالي :

«محجوبة صعدت في «التوبوس» أعطيتها عشرة دراهم، وأعطاها رجل كريم عشرة دراهم أخرى. ومحجوبة صعدت في «التوبوس» وهي تبكي .. لكنها قبل أن تذهب قالت كلاما آخر .. قالت أنها تعمل في أكدال عند رجل يبيع الذهب في السويقة ويملك محلين .. وأن أباها جاء بها منذ زمن إلى هؤلاء الناس وتركها وهم يضربونها في كل يوم ويعذبونها وهي ذهبت لتشتري لهم بيضا بثلاثين ريالا فوجدتها فرصة لتهرب وتعود إلى بيتهم في مراكش ..

لكن محجوبة تعلم أن أمها ماتت وأباها تزوج وأرسل ببنات «المرحومة» إلى «الخدمة» واحدة هنا والثانية ربما في فاس ... غير أن محجوبة .. «مشي شغلها»، تريد أن تذهب إلى مراكش وتذهب إلى القايد وتقول له أن بيتهم في البادية. هي تعرف بيتهم تماما .. لاتعرف اسم الشارع، لكنها تعرف الطريق مسكينة محجوبة .. «بقت فيا»

قالت السيدة الطيبة وهزت برأسها عشر مرات وأكدت أن حكاية محجوبة الأخيرة هي الصحيحة لأن محجوبة كانت تلبس (الاقراط والمريلة) ولاأحد يلبس خادماته «المريلة» غير أهل أكدال .. والمناطق المجاورة !!!

* * * * *

قال السطر الأخير من النص :

تركت محجوبة صفاء دموعها وكذبها البريء المعقول ومضت إلى المجهول ..

الشيطـــان ليس بيننـــا

زهـــور

ضحك زميلها وقال :

ـــ أرجو إعفائي من حكاية «الإخوة» هذه !!!

يختار الصداقة، الحنان، ال ... أي مصطلح آخر يحل بينهما بغموض في ذلك المكتب الضيق والشركة الصغيرة.

زملاؤها ثلاثة: نبيل وكمال وصالح. لكنهم لم يحضروا بعد. منذ مدة، منذ أكثر من ثلاثة أشهر أعلنتها معركة تطويع صامتة بينها وبينهم.

اختارت الضفاف واختاروا الجموح.

يأتي أحدهم بزهرة، ويأتي الآخر بابتسامة، ويحمل ثالثهم تحية الصباح مغلفة بدعوة مشبوهة، «فالمرأة» التي غادرت بيتها أو بيت أهلها إلى المكتب، ينبغي أن تمتحن وتؤدب في المعارك الخفية والمنزلقات.

فكرت : يحدث هذا كل يوم، كل يوم، بألف شكل وألف عبارة وألف وجه مستعد للتشكل حسب اللحظة والظروف. المكتب صارم والعمل صارم وكل شيء صارم، حتى الشهادة علمية وصارمة : أوراق تزدحم بالقياسات والأرقام ومناضد ومساطر ومثلثات وانكباب مسؤول فوق بيوت وفنادق وعمارات وإدارات من ورق.

تعبت حتى وصلت إلى هنا. البلد يسبح بالبطالة وشهادتها العالية بامتياز في الهندسة انتظرت أعواما وأهوالا لأن عينها كانت بصيرة ويد أهلها .. قصيرة !

لكنها حصلت على المنحة، وعاشت مثل غيرها سنوات السفر والغربة. وعادت لتتعب في خطوبة فاشلة وانتظار حزين، ثم جاءت إلى ذلك المكتب بثوب ريفي وابتسامة طفلة وعمر بدأ يعرف مدى الشجن ..

لايهمهم هذا. وجهها يكفي، ثوبها يكفي، رشاقتها أو اكتنازها يكفي، صحتها أو فرحها يكفي، أسئلتها البريئة أو الغامضة تكفي. يكفي أن تكون الوحيدة أو العاشرة أو الالف، حتى تشن الحروب عليها بتدبير أو بارتجال.

وحاولت .. حاولت الا ترى الشيطان بينها وبينهم.

قالت : «الشيطان ليس بيننا. من يضعه بيننا ؟ وأنا أجيء إلى المكتب محملة بحكمة أب وسماحة أم وحنان أخوة يقطر فرحه دمعا ؟ أجيء طيبة، مؤدبة، دمثة .. »

تجيء هكذا، فيدخل صالح :

ــ أوه .. الجو جميل .. مارأيك في قهوة ؟ نزهة ؟ سهرة ؟

ويجيء نبيل :

ــ ياللهول! .. هل بقي من الراتب شيء بعد كل هذه الأناقة ؟؟!

ويجيء كمال، صامتا فترتاح لكنه يقتنص أي سهو أو تأخير في تسليم تصميم ليشيح برأسه ويهمس بصوت مسموم :

الجماعة عقلهم في مكان آخر. لماذا ؟

قالت : اليوم، سأفاجئهم :

ستقول لهم كل هذا، وستطالبهم أن يكونوا أكثر عدلا وأكثر براءة، لماذا لاتكون أختهم ؟ لماذا لاتكون القريبة ؟ لماذا تراقب وتتهم وتنصب لها فخاخ الكلام والنظرات ؟

ستنتظر آخر ساعة من الدوام وتبدأ. ستتحدث ببساطة عن العمل ومفاهيم الزمالة والأخلاق. ستحكي عن سفرها إلى ذلك البلد وماتعلمته من سلوك حضاري ومساواة .. ستقول لنبيل أن بإمكانه الاعتماد عليها في مشاكله العائلية، فقد تصبح صديقة لأخته وأمه، وهذا لايعني أبدا أنها تخطط للزواج منه

وستفهم صالح أن من يفكر في الزواج بأكثر من امرأة يهلك، ومن الضروري أن يفهم كمال أن ابتسامتها لاتعني أبدا ميوعة أو خفة، وأن سماحها له بتحيتها خارج المكتب لايؤكد إصابتها بمرض الأجنبيات المنطلقات ...

ستكمل قياس أعمدة هذا الجزء من التصميم وتطلب منهم بلطف وأدب أن يقتربوا قليلا من مكتبها ويضعوا إليها. هذا اليوم مناسب جدا لمثل هذا الحديث، سيكون محطة مهمة لتحويل مسار نظراتهم وكلامهم. ستبدأ بكلام جديد مليء بمشاعر الأخوة والود. هذا يوم دافىء، الشمس في زيارة ودية،

ربما سيجيء نبيل مبتسما بقميصه الأزرق الهادىء، وربما ارتدى صالح سترته القطنية التي حاكتها له زوجته بعد صلحهما الأخير ..

وياليت صمت كمال يكون اليوم أقل تجهما .. هذا يوم معقول للتفاهم. الراتب مايزال طازجا في الجيوب والخرائط جديدة لم ترتفع بالأعمدة والزوايا ولم يحن وقت التوتر خوفا من الأخطاء الصغيرة .. لسعات البرد الخفيفة تحفز للكلام وتدعو لانسجام وتقارب .. هذا سيساعدها أن تتحدث إليهم بغير ارتباك. بهدوء. بأدب. ولكن، بحزم أيضا. فهي في النهاية تريد أن تستفيد من خبرتهم، من اطلاعهم، تريد حديثا ببساطة، بلا نوايا ولاتأويل.

ستبدأ بلا مقدمات .. لاداعي لأن تتحدث عن السفر وتلك البلاد المتحضرة، فسوف يجدها نبيل مدعية ومستعرضة، وسوف يقود صالح الحديث ليعرف معلومات أكثر عن البنات هناك والفنادق، وسوف يهز كمال رأسه ويسخر من معرفتها الهزيلة ! .. الأفضل أن تبدأ الحديث مباشرة وتذكرهم بتصرفاتهم الأخيرة وتنتقدها ببساطة. ستقول لصالح : صحيح أنها تجاهلت تلميحاته كلها عن الزوجة المناسبة والاختيار المتسرع الخاطىء ولكن الصحيح أيضا أنه لم يحك لها عن خلافاته مع زوجته إلا وفي ذهنه نصب فخ جديد يبدأ بالشكوى ويتصاعد إلى مشاعر الود والارتياح !! أما نبيل فينبغي عليه ألا يحسب اهتمامها بأمه ــ عندما زارتها قبل أسبوعين ــ سعيا للتقرب منه. وهو بنفسه حاول ذلك في الفترة الأولى من التحاقها بالمكتب ثم عدل بعد أن سئم و .. سمع بأنها خطبت وفشلت خطوبتها و ...

ينبغي لهم أن يفهموا أنها تود ببساطة شديدة أن تكون قريبة منهم ومحترمة. تفضل أن تكون أختا على أن تكون مشروعا غامضا لنزواتهم، يسرها ألا تسمع كلمة اطراء كاذبة أو ملغومة .. فلماذا لايكونون جميعا في تلك الساعات الجميلة من العمل الجميل .. عائلة ؟؟ لماذا لايكونون إخوة لها وأقارب ؟ لماذا يسكنون الشيطان بين أعينهم وطلتها ؟ لماذا يطالبونها بصمت، أن تعود إلى بيتها لكي تحظى بنظرات التقدير والتكريم ؟ لماذا لاتكون محترمة

وكريمة إلا عندما تقبع معطلة داخل البيت ؟ لماذا يحولون هم وغيرهم الشارع إلى مسرح بغيض ؟ والرصيف إلى مقهى لعيونهم وتعليقاتهم ومراقبتهم لها ولغيرها كأنهن فضائح ؟!!

من قال لهم أن أباها قادر بعد على ملء سلة العشاء ؟ ومن قال لهم إن أمها قادرة على أن تصبر على جوع إخوتها الصغار ؟ وكيف لايخطر على بالهم أن أختها تحلم بفستان العيد، وأن أخاها الطفل يتمنى لعبة طالما سرقت فرح عينيه في الواجهات الزجاجية ؟ وأنّه لولا راتبها لنامت عائلة بلا عشاء وازدادت آلام المفاصل المزمنة لأمها .. لماذا ينبغي أن تشرح لهم أن راتبها يصلح شباك الدار والحنفية ويجعل من «البيت المستور» حقيقة لاكلاما فارغا يقرأ في القصص ؟!

لماذا يفترضون أن مستقبلها سيضيئه بيت يقفل عليها ؟ أو رجل مثلهم يخاصم زوجته أو يتصل بصديقاته أو يتحرش بزميلته أو يشتم الدنيا ومافيها ؟؟

مر المدير قبل وصولهم. توقفت للحظة، تأهبت لتحيته بابتسامة وجلة، فرد تحيتها مشجعا بضحكة ونكتة عن الغائبين الذين يغادرون المكتب قبل الحضور إليه !.. ثم ألقى نظرة على ثوبها الجديد ... وابتعد ..

منذ ثلاثة أشهر وهي تنوي شراء هذا الثوب، تصادقت بعيونها والعارضة التي ترتديه في واجهة المحل. أربع مرات كانت تبادله التحية كل يوم، وتتفق أن ينتظرها وأن توفر .. و.. وعدها بالصبر ووعدته بالوفاء، وأمس أطلقت البائعة سراحه من سجن الزجاج واليوم ارتدته وفرحت واتجهت به إلى المكتب كأنها في عيد.

لابد وأنهم سيتنبهون وسيعلقون، لكنها اليوم تتمتع بصفاء وقدرة على التسامح. الثوب لها، لم تستعره من أمل أو غيرها. جديد. سيبقى فوق أكتافها وفي خزانتها : جديد مثل أول أسابيع لها في ذلك المكتب ومثل ابتسامة أخيها الصغير.

لن ترفض أن يعلقوا قليلا على الثوب، ولن تتردد في سرد حكاية صبرها

وتوفيرها وكم تتمنى لو أن الأمر يتوقف عند هذا الحد ولايمتد إلى الاحتفال به .. وتقديم الدعوات عبر إشارات وغمزات .. صحيح أن عالمها يصغر حتى يصبح ثوبا جديدا لكنها أيضا قادرة أن تقرأ وتسمع وتناقش .. فكيف يحدث أن تذكرهم بحادثة أو تواصل معهم نقاشا أو تعلن رأيا أو .. أو ... فيصل حديثها باردا سمجا في الوقت الذي تلمع فيه العيون ويندفع الحماس حين تبدأ تفاهات مثل الأسرار الخاصة والرجل المجهول والثيمة على الزميلات ... ؟

طيب .. طيب .. ستنتظرهم بالتأكيد، وستحكي كل هذا وماقد يستجد من كلام ...

عندما دخلوا، كانت مستعدة أن تبدأ كالتالي : زملائي الأعزاء .. إليكم أقصر خطاب في العالم : «الشيطان ليس بيننا .. فمن يضعه بيننا ؟!!»

الأســـــرار

مليكـــة *

ـــ هل تبقين معنا على الغذاء ياماليكة ؟
ـــ وخـــا
ـــ وتبقين معي بعد أن يذهب الضيوف ؟
ـــ وخـــا
ـــ وتتسلى قليـــلا ؟
ـــ وخـــا

* * *

ـــ اعتقد أن ما وقع لنا هو الكود وفودر «الحب من أول نظرة»
ـــ يمكن
ـــ ويمكن شيء آخر بالنسبة لك
ـــ يمكن
ـــ ماهو ؟
ـــ لاأدري

* * *

ـــ والآن .. ستذهبيـــن ؟
ـــ أنت لا تريدنـــي.
ـــ أريدك .. إنما .. يجب أن نتفق
ـــ عندك امرأة أخرى
ـــ لا ولكـــن ...
ـــ طيب .. سأذهب
ـــ لا .. انتظري ياماليكة .. انتظري .. سنتفاهم.

* * *

ـــ مليكة ؟ .. انت ؟.. ماالذي أتى بك في مثل هذا الوقت ؟

ـ دعني أدخل وسوف أحكي لك كل شيء
ـ تفضلي .. ولكن .. ولكن .. ضاحبي هنا ..
ـ لايهم
ـ أين كنت في هذا الليل المتأخر ؟
ـ مع بنات .. وتحرش بنا السكارى في الشارع و..
ـ هل أوصلك إلى بيتكم
ـ صعب أن أذهب الآن .. هل يمكن أن أنام هنا ؟
ـ إذا أردت ..
ـ .....
ـ .....
ـ هه ؟ .. مابك ياماليكة ؟
ـ لا أدري .. عندي برد ...

* * *

ـ صباح الخيـر
ـ هل لديك قهوة ؟
ـ موجودة
ـ هل احضر الفطور ؟
ـ إن شئت
ـ عندك سيجارة ؟
ـ موجودة
ـ احتاج أيضا .. لاخذ تاكسي .. نسيت .. الحقيبة و ...
ـ مفهوم ... مفهوم ...

العاشـــقـــة

فطـــومـــة

هبطت من التاكسي بسرعة. انعطفت في الزقاق أبدلت من يد ليد حقيبتها وكيس النايلون. هربت بوجهها من أعين الصغار الوقحة. بدأوا يعرفونها، فعندما تصل إلى الدار البلدية الجميلة حيث يقيم «النصراني» تغلق كل النوافذ ويعم الهدوء.

ـــ صاحبته !

يتبعها الأولاد ويضحكون ويوقفهم جمالها عن وقاحة أكثر وتستمر .. تسرع وتخاف. أهلها في الجنوب لكن أقاربها هنا، وظائفهم محترمة وأخاها سينتقل قريبا، وهو صعب، على عكس مايكل .. وفطومة تخشاه.

اجتازت دكاكين الجزار وبائع الخضار والبيسري وهرعت أكثر حتى كادت تركض وتتعثر، وفي آخر الدرب كان بيت مايكل بضخامته وغموضه ينتظرها. فتحت الباب بيد ترتجف. كم مرة ارتجفت أناملها وأوقعت المفتاح ؟ منذ سنة وهي تحاول أن تهدأ ولا تقدر. تقول لما يكل تعال واصطحبني لندخل البيت معا ثم تقول له لا .. لا أنا أجيء وحدي.

تخاف الناس. أهلها : أخاها. الأولاد. الحي. الزقاق. وتخاف أكثر ال «لاراف» المليئة برجال الشرطة .. كادوا مرة أن يقبضوا عليها في المقهى. لكنها أسرعت وغادرت المائدة وقالت لما يكل : نتلاقى في الدار، ومن يومها تابت عن المقاهي ... يحملون البنات بالعشرات وعلى طول إلى .. مركز الشرطة .. تكون الجلسة في المقهى بريئة، عادية، ولكن لا أحد يسمع (من يكون هذا الرجل ؟ ماذا يقرب لك ؟ عندكما وثيقة زواج ؟ يجب أن يكون زوجك لتجلسي معه) أما إذا جلست مع أجنبي كما يكل فالمصيبة أعظم .. ومايكل يسمع كل هذا ويضحك، وفطومة تقتنع : الدار أمان ولا أحد يقتحمها إلا إذا انزعج الجيران وطلبوا البوليس. والجيران يحبون مايكل .. يعتبرونه واحدا منهم. سنوات وسنوات وهو يعيش بينهم. لم يغادر المدينة القديمة يحبها يحب ناسها يحب داره ويحب فطومة. وفطومة تخاف. تأتيه كل يوم ولا تطمئن إلا بعد ساعات. بعد أن يغلق النوافذ ويشد رتاج الباب ويضع المفتاح بالقفل ويضحك. يعانقها ويغني ويضحك يحبها. يحب لكنتها البربرية وركاكة تعبيرها

وفخامة طلتها ورشاقة خطوتها وحاول. حاول اقناعها أن تصحبه إلى بلاده، لكنها ترددت. طلبت منه أن يغير دينه ثم يرحلا معا ولا ترجع أبدا، ثم اقترحت عليه أن يذهب إلى أخيها ثم .. قالت له : لا أدري و لم تكذب. أحبته كالمطر وكالنار وكالموجة المندفعة من المحيط : أقفلت أبواب ونوافذ بيته وطبخت وقرأت ورقصت ونامت ولاعبته الورق وسهرا حتى الصباح في حكايات البلاد والشوافات.

ذهبت إلى المعهد وعادت إليه، ثم ذهبت إلى الوظيفة وعادت إليه، وذهبت إلى أهلها وإلى محاولات زواج وعادت إليه، وفاجأها ذات يوم كمستشرق وقال : أفاطم مهلا !! و لم تتمهل !!

عندما سافر من أجل مناقشة أطروحته لدكتوراة الدولة، كتبت له رسائل مجنونة حادثها من القارات فبكت على التلفون ودعاها لزيارة حب فقالت له : سأفكر، لكن أحمد اقتحم قلبها الجديد فانطلقت .. كان ينتظرها بقرطبة، نصف بلده ونصف أهله هناك. أندلسي الهوى والأشواق، ترك زوجته في مدريد وذهب يمضي مع فطومة أحلى الأيام مابين غرناطة واشبيلية، تصورا أمام تمثال ابن رشد وشربا من نوافير قصر الحمراء وصعدا للخيرالدا وزارا متحف كريستوف كولومبس وتذكرا لقاءهما الأول عند عمتها في طنجة وليلتهما الأولى في فندقه وزيارة عمله القصيرة التي طالت و لم يقطعها سوى مرض زوجته المفاجيء. ذهبا إلى المقاهي والمطاعم وأكلا البسكادو وشربا العصير وصرخت ووجهها في صدره توريرو وضحكا وأهداها فستان الفلامينكو الأحمر والأبيض فلبسته وشكلت في شعرها وردة ورقصت معه حتى الصباح في أحياء غرانادا ..

هي أيضا لها أجداد هنا، تركوا لديها ليلا في اتساع الحدقتين وفجرا فوق البشرة وغمازيتين ومازالت تغني ابن زيدون وتنتصر لابن عباد وأحمد يقول لها : نتزوج ؟ فتسأله بحيرة .. ومراتك ؟ فيسكت.

. انتهت إجازتها وعادت إلى غرفتها ووظيفتها ووجدت رسائل من مايكل،

ثم عاد مايكل من مهمته الطويلة حاملا لقب الدكتور وأتى يسألها ويطمئن على قلقها وبكاءها فحكت له عن أحمد ففهم ثم سألها اختار ؟ فاغمضت عينيها وأمضيا الليلة كطفلين هادئين.

وجاء النهار وقال قلبها : ليس لي إلا مايكل. صبور وعاقل ولا زوجة له وأحمد مندفع مغامر وزوجته تلاحقه .. وجلست تكتب لأحمد رسالة اعتذار وكانت الكلمات رقيقة ابكتها فمزقت الرسالة ولم تبعثها.

لم ينتظر أحمد. جاءها في زيارة مفاجئة ومشروع زواج في بندها. قال لها سينتقل عمله ويترك زوجته في مدريد. ونظرت فطومة إليه بحيرة فسألها ما الحكاية ؟ ولم تكذب ...

اخبرته عن مايكل ودعته ليتعرف عليه.

قال مايكل : سأدعوه إلى العشاء ما رأيك ؟

وأجابت بقبلة وسهر الثلاثة وابتسم مايكل واحتار أحمد وحزنت فطومة، مجنونة. قالت لمرآتها : مجنونة .. أحبهما .. أحبهما معا !!

سافر أحمد واعتاد مايكل خارطة قلب فطومة، قالت له ذات يوم : حزينة لحزن زميلي في العمل، تعب ومهموم ومحتار .. غدرته امرأة وانهار. وذهبت مع زميلها الى السينما ودعاها للعشاء وامضت الليلة في داره إذ خشيت أن توقظ مايكل أو تدخل إلى زقاق غرفتها وحيدة في الليل المتأخر. كانت متوعكة .. لكنها أحبت قبلاته الهادئة وتفهمت حاجته إلى الحنان. كان رقيقا. ليس كما يكل ولا كأحمد. مختلف. حزين. هادىء. عاطفي. صامت. فكرت أن تنقذه وتتزوجه لكنها ترددت.

مجنونة. قالت لمرآتها : مجنونة. احبه .. احبهما .. احبهم .. احب .. ولكن .. ينبغي أن أتزوج !

الاعترافات

— 1 —

• قدمي نفسك
ـــ سامية
• عمرك وعملك
ـــ أربعة وعشرون، معلمة
• لماذا تتحدثين عن الحب بهذه الصورة ؟
ـــ أية صورة
• أعني ... الحسية.
ـــ الحب ليس إلا هذا.
• كم مرة أحببت ؟
ـــ أحببت قليلا، لكني عرفت الحب كثيرا
• كيف ؟
ـــ لا أقدر أن أعيش بدون رجل.
• من هو أول رجل أحببته.
ـــ كريم، حدثتك عنه منذ قليل، كان طالبا وكنت طالبة وأحببته بعنف
• لماذا لم تتزوجا ؟
ـــ كنت أريد الزواج منه ولكني غيرت رأيي.
• لماذا ؟
ـــ لأنه متخلف، بدأ منذ الأسبوع الثاني لعلاقتنا يعيرني.
• ألم تتسرعي في حبه ؟
ـــ لم أقدر أن أتمالك نفسي. الحب عندي لقاء. خلوة. تعبير صامت. التحام. ولاشيء غير هذا.

* ومن أحببت آخر مرة ؟
ـــ رجل كبير. أجنبي. يحبني بجنون. لكنه لايكفيني.
* هل عرفت الحب العذري.
ـــ لست مكبوتة، لم أعرف مثل هذا الحب.
* هل تستطيعين أن تجهري القول بعلاقاتك ؟
ـــ لست ملزمة. ولا أحد يسألني.
* ألا تفكرين في الزواج.
ـــ ولماذا لا ؟
* من هو الزوج المناسب لك ؟
ـــ لا أدري، ربما أتغير في المستقبل. لكني أحب الحب. أحب الرجل. أحب ال ...

ـــ 2 ـــ

* قدمي نفسك
ـــ نجوى
* عمرك وعملك
ـــ 26 ـــ سكرتيرة
* كيف تتحدثين عن الرجل الذي أحببته ؟
ـــ أنا مطلقة كنت أحب زوجي. لكننا اختلفنا
* السبب ؟
ـــ اختلاف في العقلية. انفصلنا بهدوء
* والآن ؟
ـــ حرة نفسي. لا أحد يحكمني. الحياة غيرتني
* كيف ؟
ـــ الرجل الذي لايناسبني أطرده من اللقاء الأول. أحب الرجل الوقور. الصريح. الذي يعاملني برقي
* هل تبحثين عن زوج ؟

ـــ ليس من الضروري. أبحث عن ساعات حلوة وصادقة وهذا يكفيني
• هل تتمادين في علاقتك بالرجل ؟
ـــ لا أدري. أترك هذا للظروف. إذا كان لطيفا ومؤدبا ويعاملني باحترام ويدعوني لقضاء عطلة الأسبوع في مكان جميل أنسى فيه متاعب العمل فلماذا لا ؟
• ألم تندمي يوما أنك عشت علاقة عابرة ؟
ـــ لا. المهم أن تكون العلاقة حلوة. لايهمني ماذا يقول الرجل عني بل ما أقوله أنا عنه. أنا أيضا لي رأيي واختياري
• أليس هذا تأثرا بمحيط ومفهوم يختلف عن بيئتك ؟
ـــ نحن في عالم صغير، بلا حدود. ستجدين رجلا يتمنى أن يتزوجني وأنا على هذه الحال، ورجلا آخر يعتبرني فضيحة

ـــ 3 ـــ

• قدمي نفسك
ـــ ليلى
• عمرك وعملك
ـــ 29 سنة. عاملة
• هل صحيح ما قيل عنك أنك ...
ـــ نعم
• لماذا ؟
ـــ هذا قدري
• قبل أن أهلك موافقون على سلوكك
ـــ هم يتقاضون أجرة سكوتهم
• كيف حدث وأن تحولت إلى ...
ـــ مدينتنا صغيرة ولست أنا الوحيدة
• هل تشعرين بحرج وأنت وسط أناس أسوياء ؟

ـــ لا يهمني هذا
« ألا تخافين الأمراض ؟
ـــ عندي علاجات
« كيف تفكرين بالمستقبل ؟
ـــ سأظل مرغوبة. كثيرون يفضلونني على بنات الخامسة عشر

— 4 —

« قدمي نفسك
ـــ سعدية
« عمرك وعملك
ـــ 27 سنة، أبحث عن عمل
« لماذا تواظبين على مايسمي ب «صيد نهاية الأسبوع»
ـــ مازلت بلا عمل، وقد أجد من يدعوني إلى العشاء وقضاء العطلة في جو جميل
« هل تفعلين هذا وأنت خريجة ؟
ـــ عدة مرات وأحيانا أندم. لكن الحياة بدون حب كئيبة
« كيف ينمو الحب في ظروف كهذه ؟
ـــ صديقتي تزوجت بمن تصيدها ذات يوم من الشارع
« ماالذي يجذبك إلى صاحب السيارة التي تقف لك في الشارع ؟
ـــ نظرته وكلمته إذا كانت مؤدبة أم لا
« وإذا اكتشفت أنه ليس صاحب السيارة ؟
ـــ أتوقف عند العشاء
« هل تبحثين عن زوج غنيّ ؟
ـــ نعم
« ألا تخافي أن يكون له رأي مسبق بك وبسلوكك ؟
ـــ لدي ثقة أنه سيغير رأيه عندما يعرفني جيدا

• هل تذكرين عدد المرات التي رافقت بها رجالا على هذا النحو ؟
ـــ لا أذكر. هي كثيرة ومنها ماكاد يصل إلى الزواج
• عندما تتزوجين كيف ستتعاملين مع هذا الواقع
ـــ سيصبح هذا ماضيا وسيسدل عليه الستار.

— 5 —

• قدمي نفسك
ـــ أمينة
• عمرك وعملك
ـــ 22 سنة. طالبة
• هل أنت عذراء ؟
ـــ لا
• ألا تخيفك هذه الحقيقة ؟
ـــ لو كانت تخيفني لقمت بإجراء عملية
• هل تعتقدين أن مجتمعك يفهمك ؟
ـــ لن يفهمني ولو ظللت عذراء طوال العمر
• هل تحقدين ؟
ـــ لا. لأني الأقوى
• لماذا سرت في المغامرة إلى هذا الحد ؟
ـــ ولماذا أتوقف ؟ المهم أن أكون راضية
• وهل أنت راضية
ـــ من أفقدني عذريتي كان جبانا وكنت قاصر وأمي رفعت أمري إلى القضاء وجاء يتزوجني خوفا وعندها رفضته
هل تعتبرين ماحدث لك اغتصابا ؟
ـــ لأدري. كنت مجنونة بحبه. انتظره على السلم وفوق السطح. وعندما يلمسني أصبح قطعة من الجمر

• وكيف انفردتما ؟
ـــ كانت أمه مسافرة إلى «البلاد» وإخوته في المدرسة
• هل أنت نادمة ؟
ـــ لا. لأني أحببت وسوف أقول هذا لأي رجل يحبني في المستقبل

— 6 —

• قدمي نفسك
ـــ سهام
• عمرك وعملك
ـــ 22 سنة، طالبة
• هل لديك صديق
ـــ نعم، واحد فقط
• لماذا هذا التأكيد ؟
لأن بعض البنات تمشي مع أكثر من واحد في نفس الوقت
• ماذا تعني لك الصداقة مع الشباب ؟
ـــ كل شيء. يلتزم بي
• هل قال لك أنه يحبك ؟
ـــ نحن متفاهمان ونكاد نعيش سويا في شقته
• وأهلك ؟
ـــ لايعرفون شيئا
• هل تخشين أن يكتشفوا سرك ؟
ـــ طبعا لأن أبي صعب جداً
• وإذا علم ؟
ـــ سأجبر الشاب على الزواج مني
• وإذا رفض ؟
ـــ يمكن أن يرفض إذا تدخل أهله أو رفاق السوء بيننا.

— 7 —

• قدمّي نفسك

— ربيعة

عمرك وعملك

— 24 سنة، عاملة

• لماذا أنت في عيادة الطبيبة النسائية ؟

— سأجري عملية إجهاض

• وهل وافقت الطبيبة ؟

— سوف أرغمها

• كيف ؟

— بالفلوس و... يمكن أن تشفق علي

• كيف حدث وأن تطورت علاقتك ؟..

— نصيب

• ماذا فعل شريكك ؟

— هرب، سافر

• هل أنت نادمة ؟

— على الولد ؟

• على الرجل !

— لا، لم يكن كما أتوقع

• هل جعلتك التجربة تكرهين الحب والرجال ؟

— يمكن.. ويمكن أيضا أن أجد في المستقبل من يستحقني. الحياة فيها وفيها.

— 8 —

• قدمي نفسك

— نجية

• بعمرك وعملك
— 18 سنة، السلك الثاني، أبحث عن عمل
• أين كنت تذهبين معه ؟
— إلى دارهم.. إلى دار أخيه في مدينة أخرى
• كيف كانوا يعاملونك ؟
— كانوا يرحبون بي
• هل علموا أنه...
— لا أدري. لكننا كنا ننعس في غرفة واحدة في دارهم
• ألم تشعري بالحرج ؟
— هو شجعني ثم أصبح الأمر عاديا جدا
• وأهلك ؟
— لايعلمون شيئا
• ألا يعرفه أحد من إخوتك ؟
— بلى، يعرفون أنه صديق.. وأخته صديقتي.. وأنا.. عندما «أبات» عندهم فلأنهم أهل صديقتي.

— 9 —

• قدمي نفسك
— نوال
• عمرك وعملك
— 27 سنة، بائعة
• هل أنت عذراء
— نعم
• هل عشت تجربة حب ؟
— في بلجيكا. كنت عند أخي وتعرفت على صديقه
• لماذا لم تتزوجا ؟

ـــ كان على علاقة مع بلجيكية وكانت تعيش معه

ه هل صارحك بحبه ؟

ـــ نعم، وطلب مني أن أجيء إلى داره لكني رفضت

ه لماذا ؟

ـــ قلت له فلتخرج الأولى في البداية حتى أجيء أنا

ه وماذا فعل ؟

ـــ لم يفعل شيئا، قال ان حبنا سوف يطردها من حياته

ه ماذا طلب منك باسم هذا الحب ؟

ـــ كل شيء، لكني رفضت

ه خوفا على مستقبلك ؟

ـــ بالطبع

ه وهل كان العائق في اعتقادك هو «الأخرى» فقط ؟

ـــ بالطبع.. فلو كنت وحدي لكنت استطعت أن أجر رجله ونتزوج.

— 10 —

ه قدمي نفسك

ـــ منى

ه عمرك

ـــ 19 سنة، لاشيء

ه لماذا تقولين أن الغريب أفضل من ابن البلد ؟

ـــ لأن يده سخية، ويحترمني

ه كيف يعبر لك عن احترامه ؟

ـــ لايسمعني كلاما جارحا ويقدم لي الهدايا

ه ماهي هذه الهدايا ؟

ـــ سجائر. عطر. كسوة..

ه ألا ترفضي الهدية ؟

ـــ لماذا أرفضها ؟ لو لم يكن «يبغيني» لما أهداني

ه ربما أراد إغراءك

ـ هه.. ولماذا يفعل ؟ البنات تملأ الشوارع !
* وماذا طلب منك ؟
ـ مايطلبه كل الرجال... (تضحك).

ـ 11 ـ

* قدمي نفسك
ـ نادية
* عمرك وعملك ؟
ـ 21 سنة، خادمة
* هل صحيح أنك تركت طفلا في المستشفى ؟
ـ نعم
* لماذا ؟
ـ أين أذهب به ؟
* كيف استطعت ؟
ـ هربت. ما أن خرجت من غرفة الولادة حتى هربت
* ماذا لو كانوا أمسكوا بك ؟
ـ كنت أنكرت.. لكن المستشفى عامر..
* كيف تفكرين بالطفل ؟
ـ وما الذي سأفعله له ؟ سأفقد خدمتي. ربما يقع بين أيدي طيبين. ربما مات. كان ضعيفا جدا
* هل أنت مقتنعة بما فعلت ؟
ـ مكتاب.. وصافي
* وأين شريكك ؟
ـ موجود
* وأهلك ؟
ـ في البلاد...

فهـرس

نسـاء خارج النـص

عودي يابنتي 5
ثلاث حكايات وطالبة 13
سأبقى عذراء 19
حب 81 23
إرجعي إلى البيت 27
الزيارة 37
عاطلة 41
هذا الانتفاخ السري 47
رجال في حياة سمية 63
جئت لا أعلم من أين 71
المشرقي يأتي 81
مع تحيات محجوبة 85
الشيطان ليس بيننا 89
الأسرار 97
العاشقة 101
الاعترافات 106

للمؤلفة

ـ **حروفنا الجميلة** (كتاب للأطفال) بغداد ـ وزارة الثقافة 1975

ـ **حكاية الساعات الجميلة** : سيناريو شريط تسجيلي ـ بغداد المؤسسة العامة للسينما ـ 1976 (حائز على شهادة تقديرية من لجنة الدفاع عن السلام ـ مهرجان طشقند 1976)
إخراج : صبيح عبد الكريم

ـ **تحقيق عن أم حميد** : سيناريو درامي / تسجيلي ـ بغداد ـ المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون (حائز على الجائزة الأولى في مهرجان الخليج للتلفزيون 1979)
إخراج : عماد بهجت

ـ **أرجوحة الميناء** : قصص قصيرة ـ بيروت ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1981

ـ **ياليل** : قصص قصيرة ـ بيروت ـ دار الصداقة 1987

ـ **رحيل** : قصص قصيرة ـ الرباط ـ دار النشر العربي الافريقي 1989

■ **تصميم الغلاف** : الفنان فراس عبد المجيد

نساء «خارج النص» لكنهن يشغلن بؤرة المواضيع التي هي مثار الجدال الاجتماعي الثقافي في العالم العربي. ست عشرة قصة قصيرة تعلن فيها ثمان وعشرون امرأة تخبطهن في مشاكل مميزة مجتمع في تحول يبحث عن مسالك الكرامة والحرية. هذا الكتاب عبارة عن صيحة حب في أزكى معاني الحب ...

تلك، هي إشكالية الكينونة بالنسبة لجيل لن يتمكن من مناهضة تهميش نصف السكان الا بمشاركة أقوى وتواصل أمتن.

لقد تساءلت هادية سعيد بشأن هذا كما يلي :

«هل يقدر جيل أن ينمو بلا تربة التفاعل والتأثر ؟»

النقد الذي قامت به المؤلفة نقد بناء : على أرضية قاتمة يظهر فيها الرجل باستمرار بمظهر المقترف للجنحة بينما تظهر المرأة بمظهر الكائن المضطهد، تلمس نفسا يدعونا إلى بعض التفاؤل فيما يهم المستقبل.

مما تميزت به هادية سعيد، فضلا عن جودة كتابتها وسهولة في أسلوبها تجعل القارىء يشعر بكثافة المحتوى ووقعه على الضمير، أنها استطاعت أن تجعل نفسها «خارج النص» تاركة للقارىء فرصة التواصل المباشر مع «أشخاص» لهم جاذبية قوية.

لقد استطاعت هادية سعيد، بحكم إستيطانها للمغرب منذ عدة سنوات، أن تنفذ إلى قلب ما في اللسان المغربي من رقة وطرافة دون أن تنساق وراء الفولكلوريات.

يبرز العنوان الصغير لكتاب هادية سعيد: «حكايات في الحب» مافي نصه من التنبيه الى مافي الحب ــ أي الحب الذي يغني ويحرر ــ من قدرات بيداكوجية، بصفته قوة تجر إلى «قلب المتن» أولئك (النساء) اللواتي كن «خارج النص» فلنستشهد بما قالته إحدى شخصيات الكتاب :

«أحببت وعلمني الحب كيف أقف في الفشل وأتحدى قمع الرجل الغريزي وسلطته اللاواعية».

إن مشكل «حقوق الانسان» لايمكن أن يكون في آخر المطاف، إلا مسألة تربوية، مسألة مطروحة على الضمائر، مسألة تتصل بالبنى الفكرية ... مسألة هي من باب الأحوال والأطوار التي تمر بها النفس البشرية، أي من باب الانفعالات.

المهدي المنجرة

الرباط 1989/2/9

منشورات بابل
الرباط

رقم الايداع القانوني
1989 / 481

الثمن 16 درهماً